من خلف ستائر الحياة

مجموعة قصصية

د.شريف الأتربي

دار بيوند للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

الكتاب: من خلف ستائر الحياة

المؤلف: شريف الأتربي

تصنيف الكتاب: م. قصصية

تصميم الغلاف: محمد علي

إخراج داخلي: صبرينة غلمي

المقاس:20*14

رقم الإيداع: 2018/10723

الترقيم الدولي:978-977-6645-15-8

رئيس مجلس الإدارة

محمد عزالدين

المدير العام

صبرينة غلمي

All Rights Reserved
Beyond for Publishing and Distribution
+2 01095600007
beyond.dbh@gmail.com
www.facebook.com/beyond.PDH
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ودار النشر

أهدي هذه المجموعة إلى روح أخي وصديقي الراحل

سامح كمال الدين عبد الوهاب رحمه الله

أول من شجعني وسمع مني

المحتويات

مقدمة 6

التوأمان 7

هو والقطار 9

مسجلة أداب 13

أقدار 16

سعيد المجنون 19

الموتى يرقصون أحيانا 22

ثمان ساعات من الألم 26

عيون عسلية 30

سنون العمر 33

ثورة الشهيد 37

أنامل جراح 39

حين تغرب الشمس 42

لحظة صمت لا تدوم 45

حب حتى الموت 48

النظارة 52

وجاهه 55

ذات الرداء الأحمر 57

غيرة حمقاء 60

على الهامش 62

حلم السنين الضائع 64

قطع زجاج متناثرة 67
نجوى 70
فداء 73
زينهم 76
دموع الفراق 79
غربة وطن 81
43 ثانية قبل الانطلاق 83
رذاذ محبرة 86
عتمته الليل 88
ذات الشعر الأسود 90
راكب مجاني 92
عصفور على الشباك 94
دراجة للبيع 96
لمة عيله 100
دراجة نارية 102
دمعة حارة في ليلة شتاء باردة 105
فتحي كشري 108
غريب 112
دموع على سجادة الصلاة 115
Underground 118
في رثاء صديقي وأخي سامح كمال الدين عبد الوهاب رحمه الله 121

مقدمة

كثيرا ما نقف خلف الستائر لنطالع الغادون والعائدون ونشاهد مواقف كثيرة تسلسل من دون قصد عبر نسيج ستائر الحياة لتصبح واقعا هو من وحي الخيال حتى أن أشخاصها يهيئ للقارئ أنه يعرفه ليس عن بعد ولكن عن قرب وربما عن قرب جداً وقد انتابني هذا الشعور حتى أني تأثرت بكل الشخصيات التي سطرها قلمي في هذه المجموعة فحزنت لمن مات وفرحت لمن أسعدتهُ دنياه بل خيل لي في كثير من الأحيان أنهم يعيشون معي فكنت أكلمهم وأتحاور معهم لأسجل وقائع حياتهم الواقعية الخيالية.

فقد عشت رعب الموتى يرقصون أحيانا وقابلت زينهم حقيقة وحين تم القبض على نانا اتصلت على محامي صديق لي لسؤاله عن موقفها

القـانوني وغيرهـا مـن المواقـف التـي خلطـت واقعـي بخيـالي مـن وراء الستار.

التوأمان

بعد فترة حمل سريعة ووجيزة وضعت الست ماجدة توأم ذكرين كما هي عادة النساء في عائلتها فأمها وخالتها وجدتها حتى أختها وضعن جميعهن توأم ولكن حالة ماجدة كانت غيرهن فقد وضعت توأمين متماثلين بنسبة 99% لا يستطيع أي شخص أن يفرق بينهما، وقررا هي و زوجها الأستاذ وجيه تسميتهما على أسم والد كل منهما. كانت فرحة ماجدة بعبد الله ومصطفى كبيرة جداً حتى أنها لم تنتظر وقتا طويلاً بعد الولادة لتهتم بهما بنفسها وقد أستطاعت أن تجد ال 1% الفرق بينهما وهو حسنة صغيرة على ظهر مصطفى وكبر الولدان وألتحقا بمراحل التعليم حتى بدآ يدركان مدى التشابه الشديد بينهما فأستغلاه أحسن استغلال ولكنه كان استغلال بريء لم يؤذيا به أحد فكانا يتبادلان الدور في العقاب المدرسي وفي اللعب في النادي حتى في

مراهقتهما وصداقتهما مع الجنس الأخر أيضا تبادلآ الأدوار وكلما كبرا في العمر أزدادت العلاقة بينهما أرتباطا فألتحقا بكلية الطب سويا بل وتخصصا في نفس التخصص والشيء الوحيد الذي أختلافا فيه كان هو قرار الزواج حيث أختار كل منهما بنت مختلفة عن الأخرى وقرر مصطفى أن يسافر بحثا عن زيادة الدخل ليسرع من زواجهما على أن يظل عبد الله معتنياً بأمه وبالخطيبتين وبعد سنة عاد مصطفى محملاً بالهدايا والشوق الشديد لأخيه وقررا أن يكون عرسهما معا في الإجازة القادمة وجهزا كل شيء من شقة وأثاث حتى قاعة الحفل وقبل عودة مصطفى بشهر واحد وقع له حادث مريع أدى إلى وفاته لم يشأ عبد الله أن يحزن قلب أمه فلم يخبرها بالحادث ولكنه أفتعل مشاجرة مع خطيبته وأبلغ أمه بهجرته إلى أمريكا حتى ينساها وتزوج من خطيبة مصطفى وظل يرسل لأمه رسائل وصور تعمد فيها أن يضع حسنة في ظهرة من الخلف وكان أول ولد له فسماه عبدالله ومع مولده أحس أنه ولد من جديد.

هوو القطار

تووووت تووووت صافرة القطار المتقطعة تدوي وتصيح وتنادي بأعلى صوتها أن الساعة قد أصبحت السادسة صباحا يقوم عم حسن من نومه مسرعا ويوقظ أبنائه الواحد تلو الأخر ليلحق كل منهم بعمله فمذ توفيت زوجته وهو يقوم بدور الأب والأم والخادمة فهم تعودوا منذ الصغر على من يخدمهم ولم يشأ أن يغير أي من هذه العادات بعد رحيل الأم. خرج الجميع بعد تناول طعام الأفطار ومن ثم عادت صافرة القطار لتعلنها مدوية مرة أخرى أن الساعة قد صارت الثامنة صباحا وقت الخروج إلى الشارع لشراء مستلزمات البيت وقضاء بعض الوقت على القهوة مع زملاء العمل السابقين والذين أحيلوا للمعاش من هيئة سكك حديد مصر مثله وأصبحوا يشبهون أنفسهم بالجرار العطلان في الجراج. كان أرتباط عم حسن بالقطارات رهيباً فقد كان أبوه وجده

وأعمامه جميهم يعملون في هذه الهيئة وقد تعود أن تكون حياته منتظمة كما هي الحال في رحلة القطار. عاش طفولته هنا ومراهقته هنا وشبابه هنا ويوم تزوج كانت زوجته أيضا من هنا لم يغادر المنطقة إلى قليلا جدا إلى مصيف أو إلى العمرة التي ربحها نتيجة تميزه في العمل أرتبط كيانه كله بصوت صافرة القطار حتى وفاة زوجته وقع مع مرور قطار السادسة مساء. عاد عم حسن إلى المنزل وما لبث قليلا حتى سمع دقات الباب فإذا هو ساعي البريد حاملاً خطاباً مسجلاً من هيئة السكك الحديدة ظن في بادئ الأمر أنها دعوة لحفل أو استجابة لطلب قدمه لتعيين محمد أكبر أولاده ليحل محله في الهيئة بعد تقاعده ولكنها المفاجأة التي زلزلت كيانه أنه طلب بسرعة إخلاء المنزل لأنتقاء سبب وجوده به وهو العمل في الهيئة لم يصدق أعاد قراءة الخطاب عشرات المرات ولكنه لم يستوعب ما كتب لم يشأ أن يزعج أولاده ولكن في الثامنة صباحا ومع صوت صافرة القطار كان على مكتب الأستاذ نوح مدير شؤون الموظفين وأحد زملاءه السابقين اللذين لازالوا في العمل وما أن جلس

حتى سارع أستاذ نوح بطلب كوب من الشاي ليهدئ من روعة وأخبره أن الهيئة قررت إخلاء جميع المساكن التي يقطنها غير العاملين الحاليين في الهيئة وأن وضع الهيئة قانوناً صحيح لأن عقد العمل ينص على توفير سكن للعامل طوال فترة وجوده على رأس العمل وأن سكوت الهيئة طوال الفترة الماضية كان بسبب تقاعس العاملين فيها وخوفاً منهم على ما سيلحقهم من مصير مثل زملائهم السابقون. حاول عم حسن أن يجد منفذ ولكن الأستاذ نوح لم يعطه أي بادرة أمل وحين دردش مع أحد أبناء منطقته عن الموضوع تطوع أن يجعل أبنه المحامي يتولى الموضوع وأن يرفع قضية مستعجلة أمام القضاء يطلب فيها وقف تنفيذ القرار بدعوى أن العين قد أصبحت قانوناً في حوزة عم حسن بوضع اليد عليها وأن على الهيئة أن تتفاوض معه لتقنيين الوضع. لم تستمر القضية طويلاً وكان حكم القضاء لصالح الهيئة فأصيب عم حسن بجلطة جعلته طريح الفراش لمدة توقفت خلالها الهيئة عن الطلب بتنفيذ الحكم ولكن مع صافرة القطار في الثامنة صباحا كانت القوات منتشرة أسفل

البيت للتنفيذ ضده وضد كل من هو على نفس حالـه أستأذنهم أن يمهلوه دقائق معدودات ولكن عند صافرة التاسعة صعدوا إليه فوجدوه ممدا في سريرة متوفياً وقد ملء الدمع عينه حزناً على فراق صوت الصافرة.

مسجلة أدراب

أصحي يا نانا أحنا بقينا الظهر. أصح بقى. حاضر يا ماما. تقوم نادية أقصد نانا أخيرا من النوم فهي لا تعمل ولا تحب أعمال البيت فمذ ولدت وهي أميرة في بيت أبيها كل طلباتها تجاب ولو على الرقاب فهي أول بنت في العائلة التي تلد أغلب نسائها الذكور وكان هذا كافيا لتكون محور أهتمام العائلة بكاملها وحين بلغت سن المدرسة ألحقها أبوها بأرقى المدارس التي توفر تعليما مميزاً ولم تكن نانا متفوقة ولكنها أتقنت كثير من العلوم واللغات بلكنة أقرب لأهل هذه اللغة نفسهم وفي هذه المدارس لم تجد نانا أي شاب يوافق تفكيرها فالجميع يريد الجزء الأنثوي فيها وهي تعلم أنها جميلة وذات قوام ملفوف يجذب رغبات كثيراً ممن حولها وكذلك كان الحال في جامعتها المميزة فهي رغم كونها أكثر الجامعات نفقات إلا أن مرتاديها أغلبهم من أبناء الأغنياء

الجدد وتخرجت نانا من الجامعة كما دخلتها بلا أصدقاء وذات يوم عرض أحد أقاربها على والدها أن يوظفها في أحدى أكبر الشركات متعددة الجنسيات كسكرتيرة لمدير الشركة ووافقت فهي ملت من الجلوس في المنزل وأطلقت من خلال عملها كل طاقاتها المكبوتة فأصبحت بعد وقت قصير محور أداء هام في الشركة تتوسط كل طاولات الأجتماعات والحفلات ودعيت إلى حفلة خاصة لأحد الشركاء في الحفل وكان الرجل زير نساء لم يترك واحدة منهن إلا وحاول أقامة علاقة معها ولكنها صدته بشدة بل وهددت أن تترك العمل مما جعل مديرها يجنبها الأجتماع بهذا الشريك الذي رفض الهزيمة ودبر لها مكيدة يعجز الشيطان عن الإتيان بمثلها فقد جعل أحد رجالته يتصيد غانية من أحد الشوارع ويقيم معها علاقة وحين ضبطته شرطة الأداب جعلها تسجل في محضر الضبط أسم نادية وهكذا تحول المحضر إلى قضية وحكم فيها على نادية بالسجن 6 أشهر غيابياً ومع أحداث الثورة لم يحاول أحد البحث عن نادية التي وجدت أخيراً حب حياتها في حسام

أخو زميلتها في العمل وكأنهما خلقا لبعضهما البعض فهو أيضا كان ولداً وحيداً في عائلة أغلب نسلها نساء وأيضا تخرج من نفس الجامعة قبلها بخمس سنوات وبدأ حسام ونانا التجهيز لحفل زفافهما وأعداد عش الزوجية وكانآ يحلمان باليوم الذي يجمعهما سقف واحد وفي صباح أحد الأيام عاد الشريك إلى مصر وعاود محاولته معها ولكنها صدته هذه المرة بعنف بل ولأول مرة ترفع حذاءها في وجه أحد مما جعله يهرب سريعاً وهو يتوعدها وقدمت نانا أستقالتها من العمل أستعداد ليوم الزفاف الذي جاء وهو يحمل لهما بشرى حياة سعيدة وأثناء كتابة العقد دخل ضابط تنفيذ الأحكام يطلب القبض على نادية لتنفيذ الحكم الصادر ضدها بالحبس فسقطت مغشياً عليها ولم تفق بعدها أبدا.

أقدار

خرج في غسق الليل يبحث عن زاده وذاته وهما وأن جتمعا قولاً أختلفا مقصدا ومعنى وهو يكتفي الأن بالزاد وترك الذات وظيفته في قيادة حافلات الحكومة أعطته بعضاً من القوة التي يحس بها وهو يطوف الشوارع ويجد الجميع يترفع عنه ليس لشخصه ولكن لشخص حافلته التي تبث الرعب في قلوب الراكبين والسائرين وصل إلى جراج الهيئة ووقع في دفتر الحضور وأتجه إلى حافلته التي تعود على قيادتها ولكن مشرف الجراج أخبره أنها خصصت لشخص غيره أمتقع وجهه وضاق صدره متذكراً كل المواقف التي تعرض لها حين كان يقدم على أي عمل كانت لجنة المقابلة تثني عليه وتشكره وحين تظهر النتيجة يجد أنه لم يحصل سوى على الشكر والثناء وهكذا كانت حياته يتقدم لأي شيء يحصل شكر وثناء وهباء منثوراً لم يمكث على هذا الحال طويلاً فالوقت

الضائع ينقص من راتبه أتجه إلى الحافلة المخصصة له وجدها متهالكة لا تصلح حتى للسير داخل الجراج حاول أن يخبر مشرف الجراج الذي أصم أذنيه عنه فهو ليس ممن يقدمون الهدايا في المناسبات وغيرها فبالكاد يكفيه راتبه أرتقى سلم الحافلة وأدار محركها فسمع صوتاً ذكره بمنزله القابل للأنهيار في أي لحظة وهو لا يملك أي مال يساعده في ترميمه خرج من الجراج وبدأت رحلته أكتشف أن من كانوا يركبون معه في حافلته السابقة أستنكفوا الركوب في حافلته الحالية لما لها من هيئة رثة ودخان يعمي الأبصار وتحول ركابه إلى مجموعة من الفقراء والمهمشين الذي يعيشون على ظل هامش الحياة وليس هامشها تحركت الحافلة قليلاً وما لبثت أن تعطلت حاول هو ومن معه أصلاحها فبدأت تدور قليلاً قليلاً تقطع الطريق ببطء ولكن غالبا ما ستصل إلى محطتها النهائية تأخر كثيراً عن موعد العودة إلى منزله الذي يمثل له ملتقى الراحة والأمان أنزعج لعدم أتصال أي من أفراد أسرته به طوال هذه المدة أخرج هاتفه المحمول وأتصل على زوجته لم ترد وأبناءه أيضا

قرر الأتصال بأحد جيرانه ففوجئ به يرد بصوت حزين واهن مخبراً أياه أن تفجيراً قد وقع قريباً من المنطقة لم يصب أحد ولكن أدى إلى انهيار منزله ومصرع كل من فيه وذلك في وقت عودته حتى خاله الجميع قد صرع معهم أسقط الهاتف من يده ونظر إلى الخارج فوجد أنه على أرتفاع كبير من الأرض فوجه عجلة قيادة الحافلة نحو الهاوية نظر نظرة أخيرة إلى راكبي الحافلة وجد منهم رضا لما يفعله فقد أنهاروا جميعا قبله وكأنهم ينتظرونه ليخلصهم مما هم فيه وسقطت الحافلة ومات كل من فيها إلا هو عاد ليسكن على أنقاض منزله.

سعيد المجنون

تزوج فرحان من سعيدة بنت عمه التي كانت مكتوبة له حسب التقاليد في عائلتهم أن البنت لأبن عمها ومع نهاية الشهر التاسع من السنة الأولى لزواجهما وضعت سعيدة أول مولود لهما وسماه أبوه على أسم جده سعيد فأصبح المولود صاحب أسم مميز سعيد فرحان سعيد وربما هذا ما جعل أبواه يمنيان نفسهما أن يكون في يوم ما ذا شأن كبير ولما لا فالعائلة بها كثير من الضباط والمهندسين وغيرهم من ذوي المناصب الرفيعة حتى وأن كانا من الفرع المتوسط الدخل إلا أن أسم العائلة كان كبيراً. شب سعيد على كثير من الأهتمام والعناية وكان هو نفسه مطيعاً ومهذباً ومع بداية مراحل التعليم أبدى سعيد تفوقاً ملحوظاً مما زاد والداه ثقة في أنه سيحقق أمنيتهما وفي نهاية المرحلة المتوسطة توفي أبو سعيد فجأة وأصبح سعيد مسؤلاً عن أخوته وكان لابد أن يضحي من أجل

الجميع فقرر التوقف عن التعليم والأتجاه للعمل حاول سعيد البحث عن عمل في أي شركة أو مؤسسة حكومية ولكنه لم يفلح رغم الوساطات الكثيرة فكان الأتجاه للعمل الحر حيث بدأ يخرج للعمل كهربائياً بصحبة جارهم عم جرجس أشهر كهربائي في المنطقة وذاع صيت سعيد وأصبح من أشهر الفنيين في هذا المجال وتخرج أول أخوانه من الجامعة وكان لابد أن يؤدي سعيد الخدمة العسكرية حاول أن يحصل على إعفاء ولو مؤقت ولكن سياسة الجيش في أستقطاب الكفاءات الفنية منعت ذلك وفي معسكر التدريب تم ترشيحه لقوات الأمن المركزي وهناك تعرف على الضابط علاء الذي أستطاع أن ينقله إلى مكتبه ليكون المراسلة الخاص به وتطورت علاقته بالضابط علاء وبدأ في مقابلته خارج العمل وتعرف سعيد على باقي شلة الضابط وكان منهم نوير تاجر قطع غيار السيارات في سوق التوفيقية حيث كان الجميع يجتمع في محله ليلاً وتطورت العلاقة بينه وبين نوير الذي أراد الأستفادة من خبرة سعيد في الكهرباء وذات ليلة تلقى نوير دعوة فرح

فـي منطقـة شـعبية حيـث يكـون كـل شـيء مبـاح مـن خمـر و مخـدرات وغيرها وفي هذه الليلة قرر أحد أعداء نـوير أن ينـتقم منـه فوضـع أكبـر كمية من الحبوب المخدرة له في زجاجة البيرة وقدمها لـه وبدوره نـوير قدمها لسعيد الذي تناول المسكر لأول مرة في حياته وسقط سـعيد مغشيا عليـه حـاولوا أفاقتـه دون جدوى فحملـوه إلـى بيتـه ووضـعوه فـي فراشـه حيث بقي في غيبوبته لأكثر من شهر وحين أفاق كان في غير حاله فهو لا يعرف أي شيء سوى أسمه وبدأ يهذي ويـأتي بحركـات غير طبيعيـة فطـرده أخوتـه مـن المنـزل حيـث أستضـافه نـوير أمـام محلـه كنـوع مـن البركة وظل سعيد يهيم على وجهه في السوق حيث لقب بسعيد المجنون ولازالت قصته ينقلها الآباء للأبناء في الحي.

الموتى يرقصون أحيانا

كان سعيد في سن الخامسة حين أحس بشيء غير عادي يحدث في منزله الآيل للسقوط فقد بدأت الجدران تتمايل كأنها ترقص وبدأت الشقوق تزيد في كل حوائط المنزل وتبعتها طبقة الدهان والمحارة القديمة المهترئة تتساقط كأنها أمرأة عجوز تنزع من وجهها طبقات من المكياج وضعتها لتداري تقدمها في السن وفجأة سحبته أمه ومعه الموجود من أخوته وجرت مسرعة إلى باب الشقة حاملة معها بعض الأشياء التي يمكن حملها وما أن تجاوزا باب ما كان يسمى بيتا إلا وأنهار البيت تماماً على قواعده كأنه لم يكن مبنياً من قبل. وقفت أم سعيد تبكي وتلطم خديها فماذا هي فاعلة فقد كانت تعمل خادمة بالأجرة اليومية لدى بيوت الأغنياء في حي الزمالك ولم تكن تدخر لمثل هذا اليوم إلا القليل خاصة وأنها تعول سعيد وأخوته وأمها الكبيرة في السن

بعد وفاة أبو سعيد. جاء سيد أخو أم سعيد مسرعاً بعد أن علم بالمصيبة التي وقعت لأخته وأمه ووقف حائراً ماذا يفعل فهو لا يستطيع أن يأخذهم معه إلى بيته الذي يكاد يحتويه هو وزوجه وأولاده وأهل زوجته إلى جانب المشاكل الدائمة بين أم سيد وزوجته والتي أنتهت بخروج أم سيد من المنزل وأستقرارها عند أم سعيد فجأة تذكر سيد أن له صديق يسكن مقابر الخليفة فأتصل به وأبلغه سيد بما حدث أسف مهران لما أصاب أم سعيد وقد كان شديد الأعجاب بها فهي رغم تقدمها في السن إلا أنها كانت تحمل الكثير من علامات الأنوثة التي تخلب عقول الرجال أمثال مهران قرر مهران مساعدتهم وأخبر سيد أن لديه جار سيرحل اليوم بعد حصوله على شقة من شقق الإسكان الشعبي عن طريق الحكومة وأن التربة التي يسكن فيها ستكون خالية ويمكنه التحدث مع برعي حارس الترب في ذلك أنتقلت أم سعيد وأمها وأولادها إلى سكنهم الجديد وما أن وطئت قدماها المكان حتى أحست برهبة الموت تحيط بالمكان كله فأخذت تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وتتلو أيات من

القرآن الكريم أستقرت أم سعيد في تربتها ونظمت ما بقي من أغراضها وودعهما سعيد وبرعي الذي لم يرفع عينيهِ عن كل جزء من جسد أم سعيد والتي أحست بذلك فكانت تحاول أن تلف جسدها بكل ما لديها من ملبس حتى أنها أستعانت بقطعة من كفن وجدتها ملقية في زاوية التربة وهي لا تعرف بماذا تدثرت. حسبت أم سعيد أن الليلة قد أنتهت وأنها يجب أن تخلد إلى النوم لتبدأ مع الصباح رحلتها الشاقة نحو زبائنها ولكنها تسمرت فجأة حين سمعت أصوات جمع كبير من الرجال والنساء أتين من حيث لا تعلم حتى خالتهم أشباح لموتى يسكنون القبور نظرت من ثقب الباب فوجدتهم يشربون كل أنواع المخدرات والمسكرات ويمارسون الجنس فوق أجساد الموتى بل أنهم يسحبون بعض الجثث من مرقدها ويرقصون معها غير عابئين بحرمة الموتى وتكررت الأيام والليالي والحال كما هو كل يوم حتى ماتت أمها وكان قبرها جاهزا فدفنوها وحين حل الليل بدأت حفلة السمر الليلة ولكنها كانت مختلفة فقد أخرجوا جثمان أمها من مرقده وبدأوا بالرقص معها ولم يكتف أحدهم

بذلك بل مارس مع العجوز الجنس ولم تستطع أم سعيد أن تفعل أي شيء خوفاً على نفسها وعلى أولادها وحين عرضت الأمر على أحد زبائنها أخبرها أنه يعرف صاحب الحوش وأنه سيخبره بما يحدث ولم تمر سوى أيام قلائل حتى وجدت الشرطة تملئ المكان وتقبض على كل هؤلاء المجرمين تنفست أم سعيد الصعداء وحلمت أن تنام نوماً هادئ وما أن بدأت في الرقاد إلا وسمعت نفس الأصوات التي كانت تسمعها من قبل فنظرت مرة أخرى من ثقب الباب فإذا بها تجد الموتى يرقصون فرحا بالتخلص من هؤلاء المجرمين فأستعاذت بالله من الشيطان الرجيم سحبت الغطاء فوق رأسها ونامت.

ثمان ساعات من الألم

تصبحون على خير؛ هكذا كان وداعه لزوجته وزواره في مشفاه حيث أجريت له جراحة لأستخراج حصوة تكونت على مر سنين الغربة والألم وكأنها جزء من غربته التي يبدو لهيبها لا ينقطع رغم مرور ما يقارب من الربع قرن على بدء رحلة الغربة الجسدية والفكرية ورغم ذلك فإحساسه أن غربته تبدأ مع فجر كل يوم جديد هو فيه بعيداً عن وطنه الذي ما حلم يوماً أن يخرج منه حتى أنه كان يحس بغربته حين يخرج من الحي الذي عاش فيه. أراد بعد خروجهم أن يأخذ قسطاً كبيرا من الراحة فمذ خرج من غرفة العمليات والزوار لا ينقطعون عن غرفته وقد كان وجودهم حوله أول مراحل الأحساس بالأطمئنان فهو لم يدرك بعد قدر محبته في قلوب من حوله واليوم وبرغم أرهاقه الشديد أحس أن غربته جمعت بينه وبين أناس لم يكن سيعرفهم لو ظل في

وطنه فشكر الله على هذا الحب. نظر في ساعته قبل الخلود للنوم كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشر ونصف ليلاً. وضع رأسه فوق مخدته ونام كأنه لم ينم من قبل وعند الثانية عشر ونصف ليلاً أفاق من نومه أحس كأنه نام دهرآ ولكنها دقائق معدودة لم تتجاوز الساعة الواحدة، أراد الذهاب إلى دورة المياه تحرك ببطء وصل إلى داخل الدورة أرد أن يخرج بوله فلم يستطع حاول مراراً وتكراراً أن يتخلص من ألمه أستخدام جرس أستدعاء طاقم التمريض كانت هذه الليلة شابة من جنسية أسيوية لكنها لا تشبه ملائكة الرحمة التي سمع عنها في كثير من القصص والأحاديث أنها تشبه سجانة معتقلي جوانتانامو شديدة الملامح لا يظهر عليها أي بوادر رحمة بمريضها سألها أن تخفف عنه ألامه نهرته بشدة متسائلة: هل شربت ماء؟ فأجابها نافياً فأمرته سجانته أن يكثر من شرب الماء ولا يتوقف حتى يستطيع أن يخرج ما به من ماء. زاده تنفيذ الأمر ألماً فقد زاد الماء بداخله حتى كاد ينفجر أخذ يعضض ملابسه وعلى أصابعه حتى كاد يدق رأسه في الجدار من شدة

الألم. تذكر الجرس مرة أخرى فحضرت سجانته ومعها قائدتها وهي رئيسة السجانات سألها أن تخفف من ألمه، ردت عليه قائلة أنت من طلبت نزع القسطرة بعد العملية مباشرة فكأنها تعاقبه لعدم قدرته على تحمل وجود جسم غريب في جسده. وتمر الدقائق كأنها ساعات وأيام وعند السادسة صباحاً جائه أتصال من زوجته تطمئن عليه أثناء تجهيز أولادهما للذهاب إلى المدرسة سمعت بكائه الشديد وأحست بألمه وكيف لا وهي جزء منه حضرت مسرعة إلى المشفى وذهبت إلى طاقم السجانات ونهرتهن لعدم أحضار طبيب له ذكرن أنهن سيتصلن بالطبيب عند الثامنة ونصف ولكن الألم أشتدت عليه عند الثامنة فكان قرارها بالتحدث معهم مرة أخرى ولكن بصيغة شديدة أخافتهم فقاموا بالأتصال بطبيبه وشرحوا له حالته أستشاط الطبيب منهم غضباً وأمرهم بإعادة تركيب القسطرة مرة أخرى لم يحس بألم تركيبها فألمه أشد وأقسى وحين تدفق البول خارجاً في القسطرة أرتاح ولانت كل أعصابه المشدودة. غاب عن عالمه المحيط وسرح في ملكوت الله متعجبا أنت

هذا أيها الأنسان المتكبر على خالقك حتى الماء لا تستطيع أخراجه بدون أذن من ربك فكفاك عنداً وأعترف بقدرة الله عليك يا من نسيت أنك أوهن مخلوقات الله في أرضه.

عيون عسلية

بعد عناء من العقم دام عقدين من الزمان رزقت السيدة أنيسة بمولودها الأول والأخير حيث أنها لم تتمكن من الحمل مرة أخرى أطلقت عليه أسم هدية فهو هدية الله لها بعد حجتين وعشر عمرات وآلاف الركعات سجدت فيها لله تعالى تدعوه ليس بالذرية فقط ولكن بالذرية الصالحة البارة. شب هدية بين يدي والدية حيث علماه القرآن وفعل الخير منذ صغره كان هدية يحب أمه حباً شديداً لا يستطيع أن يبعد عنها أبدا بل كان احساسه بالراحة لا يأتي إلا حين تحتضنه وتبقيه ناعساً على صدرها؛ وكان أبوه يمثل له الأمان ممن حوله خاصة أنه لا يوجد في المكان من يقاربه بالعمر فأغلب أبناء الجيران من أصدقاء أباه وأمه قد كبروا وربما تزوج بعضهم وأنجب. لاحظ الأبوان أن هدية كان يطيل النظر إلى أمه كثيرا وخاصة في عينيها كان يرى نفسه فيها فيعجب

بحب أمه له ولكنه كان حين يسأل لماذا تطيل النظر إلى عيني والدتك؟ كان يجيب أنه يحب لونهما العسلي كبر هدية وكبر حبه لأمه من خلال عينيها وماتت الست أنيسه ومات أبو هدية بعدها مباشرة وكان هدية على شفا التخرج من كلية الطب وأستكمل مشواره فيها ليس لحبه لها بقدر رغبته في التخصص في فرع العيون أنه يبحث عن أمه التي لم يشبع منها وزاول أولى مهامه مع الطب حين كشف على سيدة متوسطة العمر تكبره بعدة سنوات ومع أول نظرة لها وقع في حب عينيها ولم يستطع البوح بحبه لها ولكنه تعمد أن يطلب منها العودة على فترات متقاربة للأطمئنان على صحة عينيها أحست نوسه بحبه لها وأنجذبت له ولكن كان عائق زواجهما أبوها فهو قد خرج من السجن مؤخرا ليس لجريمة شرف ولكن شيكات بدون رصيد كتبها على نفسه ليستر بناته حاولت نوسه أن تبتعد عنه أدعت أنه قد تمت خطبتها وأنها على وشك الزواج والهجرة مع زوجها خارج مصر ولكنه كان يشعر بمدى حبها له لم يصدق ما أدعته وظل يتقصى أخبارها حتى علم بزيف ما أدعته ظل

متمسكا بها رغم تعدد محاولاتها البعد عنه وأخيراً أعترفت أن حبه قد أمسك بتلابيب قلبها فباحت له بالحقيقة ضحك كثيراً من رقة مشاعرها وحرصها على سمعة عائلتها وخوفها من أن يصدم فيها أكثر من خوفها بفقدانه وأخيراً بعد ثلاث سنوات من العذاب كتب كتابهما ويومها أهدته أجمل هدية تلقها في حياته فقد نطق المأذون بأسمها الحقيقي أنيسة بنت محمد البكر الرشيد.

سنون العمر

وصل إلى منزله بعد عناء شديد من الحر والزحام بحث عن موقف لسيارته وبعد معاناة شديدة أثقل من المشوار ذاته وجد أخيراً مكاناً حشر فيه سيارته حشراً كأنها هي الأخرى تأبى أن تتركه محشوراً في الحياة بمفرده جمع أشيائه من السيارة وأحكم أغلاقها وتثبيت كل أدوات الأمان التي يمكن أن تحميها من السرقة خاصة وأن منطقته عرفت بسرقة السيارات وخاصة الحديثة منها لم يكتف بذلك ولكنه سحب غطاؤها من الشنطة وألبسها إياه كأنها عروس ليلة زفافها ولما لا وقد أفنى أكثر من عشر سنين من عمره يكد ويلهث حتى يتسنى له شرائها اتجه مباشرة إلى المصعد لم يكن يرغب في الحديث مع أي من الجيران فهو ليس بالمألوف الطبع ولا هم كذلك ولكن ظهرت مدام تحية فجأة أمامه وسألته ماذا فعل في تسريب المياه من دورة المياه عنده على سقف منزلها

أرتبك فهو لم يفعل شيء فقد نسى ما قد دار بينهما من حديث الأسبوع الماضي فما كان منه إلا أن طمأنها أن العمال سيصلون قريبا لتحديد سبب هذا التسرب وأستأذن منها ليكمل طريقه في أتجاه المصعد ولكن ذكي البواب أعترض طريقة وأخبره أنه تأخر كثيراً في دفع رسوم أتحاد الملاك قرر أن يتخلص من أحد مشاكله مد يده وأعطاه ما يريد وزاده نقود قليلة كبقشيش فرح ذكي بالبقشيش أكثر من الرسوم فهو لم يتعود منه ذلك إلى جانب أنه كان يبحث عن من يقرضه بضعة جنيهات يشتري بها ما يسد به جوعه خاصة بعد سفر زوجته للبلد لتضع مولودهما السابع عاد إلى المصعد أثقل الضغط على زر الصعود ولكن لا توجد أستجابة ولا مؤشر على وجود حياة في ذلك الأختراع العجيب وكالعادة كان صعود السلم وسيلته الوحيدة لبلوغ شقته في الدور الخامس وكأنها تذكره بسنين عمره التي ستبلغ الخمسون بعد أيام قلائل صعد الدرج مثقلاً بتعب السنين وزادت دقات قلبه وزاد تعرقه وبدأت حبات العرق تتساقط على جبينه متخذة طريقها إلى باقي قسمات وجهه كأنها

تتلمسه بيديها لتتعرف عليه لأول مرة وكلما صعد درجة زادت دقات قلبه كأنه على موعد مع حبيبته الأولى والأخيرة تلك المحبوبة التي منى نفسه بالأستقرار معها ولكن ظروفه المادية ورفض أهلها له منعاه من تحقيق هذا الحلم وظل من بعدها دون زواج رغم كثرة من عرضن أنفسهن عليه واصل الصعود وكلما أرتقى درجة تذكر مرحلة من مراحل حياته وكيف أنكفأ على ذاته مواصلاً عمله كمحامي ليس بالمشهور ولكنه حقق نجاحات عديدة وحين بلغ الدور الثالث تذكر كيف كانت أهم قضية في حياته حين كان في نهاية الثلاثينات من عمره حين أستطاع أن يعيد لمجيدة هانم قطعة الأرض التي سطا عليها أحد أركان النظام الحاكم آنذاك وكان نجاحه نجاحين أسترداد قطعة الأرض وتخلص النظام من أحد رموز الفساد حتى أن مجيدة هانم عرضت عليه الزواج وأن يتولى أدارة ممتلكاتها ولكنه رفض فلازال حب ليلى هو حب العمر وفي الدور الرابع كانت قصته مع مافيا الفساد الأداري هي شغله الشاغل حتى بلغ مشارف الخمسين حينها وصل إلى الدور الذي

يسكن فيه وقف فجأة وكأنه يخاف أن يواصل الصعود فتتساقط منه باقي سنون عمره

ثورة الشهيد

كان نائماً يغط في نومه كعادته هرباً من قسوة الحياة وعدم وجود عمل وفجأة تنادى إلى مسامعه صوت صديقه الصدوق من أسفل شباك المنزل المنزوي في حارة ضيقة من حارات مصر القديمة هب من نومه مسرعاً فقد كان النداء على غير العادة متكرراً ملحاً كأنه طلب إغاثة من ملهوف سأل صديقة عن سبب االحاح في النداء أخبره أن الرئيس تنازل عن الحكم وأن الثورة قد حققت أهدافها وضع على جسده ملابسه البالية الساترة لجسده وهبط السلالم مسرعاً متجها إلى الميدان سهر حتى الصباح فرحاً طرباً وأنقضت أيام الفرح وبدأ يجهز نفسه للعمل وجني المال والتحول إلى حياة الرغد بعد شظف العيش ولكن وطبقا لمثل الشعبي كأنك يا أبو زيد ما غزيت بقي الحال كما هو عليه وعاد إلى رقاده السابق وفجأة سمع صوت صديقة يناديه لقد تم عزل الرئيس فلبس

ملابسه البالية الساترة وخرج إلى الميدان فرحاً وطرباً وبدأ يستعد للحياة الجديدة وتبسمت لـه الأقدار حين طلبـه أحد رجـال الأعمـال المهتمين بقضايا الشباب ليعمل في شركته فلبس ملابسه التي يحتفظ بها لمثل هذه المناسبات وحين وصل إلى الشركة وجد جموع غفيرة تتظاهر هذا مؤيد وهذا رافض وفجأة بدأت المعركة لم يلق بـالاً لمـا يحدث خـارج مقر الشركة أسرع إلـى مكتب مدير شؤون الموظفين ليخبره بـأمر تعيينـه لديهم فأخبره الموظف أن كل شيء جاهز وأنه يمكنـه أستلام العمل من باكر ولكنه أصر على تسلم العمل اليوم فقد خاف أن يأت الغد وقد تغير الحال كما تغير الرؤساء. وجهه الموظف إلى مكتبه الذي سيجلس عليه ومـا هـي إلا دقـائق وكـان نصيبه من الثورة رصاصـة أخترقت زجـاج المكتب ومنها إلى قلبه فخر صريعاً وحين تجمع المارة من كل حدب وصوب بدأت كل الأيادي تتجاذبه كل يدعي أنه فقيده حتى ملابسه التي أحتفظ بها كانت هي كفنه الوحيد فكان شهيداً لثورة لم تكن ثورة.

أنامل جراح

مذ مولده وهو يستطيع أن يمزج بين الواقع والخيال كان يعشق تغيير الواقع وتحويله إلى خيال كلي أو ما يشبه الخيال فقد كان شريف مميزاً عن باقي أقرانئه في كل شيء فهو شديد الذكاء لماح لبق يتقن أدوات اللغة تحدثاً وكتابة ففي المرحلة الأبتدائية كان يلقب بسيبويه من كثرة ما كان معلميه يقرأون على زملائه ما يكتبه ليس فقط في مادة اللغة العربية ولكن في كل المواد بل أنه أتقن أيضا فن التعامل مع من حوله فكان من النادر أن تجد من يمقته أو يكرهه وفي المرحلة الأعدادية شارك في كل مسابقات أدارة التعليم الثقافية بل فاز بعدة جوائز على مستوى الجمهورية وأضاف إلى مواهبه موهبة الرسم فكان يتخيل كعادته الأشياء التي يحبها ويقوم بأعادة رسمها لتظهر كما يحب أن يراها وفي الثانوية فاز بجائزة كبرى في مجال الرسم حين رسم صورة لرئيس

الدولـة يظهـر مـن خلالهـا الجانـب الأنسـاني للـرئيس وأصـبح شـريف مشهورا قبل المرحلة الجامعية بقدرته على المزج ما بين الواقع والخيال ليصبح الخيال أجمل من الواقع حتى أنك إذا سمعته يقرأ الشعر أو قرأت ما يكتبه تعيش في خياله بل ربما ترفض العودة إلى واقعك بعد الأنتهاء من المناسبة الثقافية التي كان يظهر فيها شريف مهاراته وقرر دراسة الطب وكتابة الأدب كأن الطب أصبح ملهمه الأول وبعد أن تخرج كان أتجاهـه إلـى جراحـات التجميـل هـو مجالـه الجديـد للمـزج بـين الواقـع والخيال فذاع صيته بين النسوة اللاتـي تمردن علـى واقعهن أو اللاتـي يحاربن مظاهر الزمن وفي ليلة من الليالي الربيعية الهادئـة زارتـه منـال ولم تكن من هؤلاء النسوة فقط كانت تعاني من تشوه في عظمة الأنف وحين دلفت من باب العيادة أصابه سهم الحب في مقتل وقع شريف في حب منال هذه السمراء ذات الشعر الأسود الحرير الممشوقة القوام فقد وجد فيها خيال واقعة ووافق على أن يجري لها العملية بشرط أن يكون هو من يقرر شكل الأنف وبشرط أن تكون زوجته ووافقت منال على

الزواج فهو يمتاز بكل ما تتمناه أي بنت في عمرها وبعد الزفاف قررآ أن يجري العملية الجراحية وقرر أن يجعل منها كليوباترآ الشرق وأمسك مشرطه وعبث في عظمة الأنف ولكنه لم يكتف بذلك ففي لحظة من لحظات الجنون والخلط بين الواقع والخيال تحولت منال تحت يد مشرط زوجها إلى مسخ لا معنى له فكان خبر أنتحارها هو الخبر الرئيس في كبرى الصحف ليست المحلية فقط ولكن بعض العربية والعالمية حيث ذاع صيته أما شريف فكانت نهاية خلطه بين الواقع والخيال غرفة حقيرة أعلى عقار في منطقة شعبية حيث يرسم صورة منال التي كان يبحث عنها في خياله.

حين تغرب الشمس

ندى. هي فعلاً ندى كما تجده دائما على أوراق الزرع في الصباح الباكر وخاصة في صبيحة ليالي الشتاء التي تقترب من البرودة، أنه يمثل قبلة الحياة لهذه الزروع أنها علاقة ربانية دائمة بين السحب وأوراق الأشجار، وهكذا هي ندى ألتصقت كل أعمال الخير والجدعنة بها وبمواقفها مع من حولها ورغم ذلك كانت هي في قرارة نفسها غير سعيدة ولكنها لم تفصح لأي أحد عن ذلك حتى لا تؤذي مشاعره وحين كانت تصاب بالأحباط واليأس كانت تلجاء إلى شاطئ البحر لتشكو لموجه ما همها وتظل جالسة بين أحضان رماله حتى تغرب الشمس فتحمل نفسها تاركة همومها هناك لتعود أدراجها إلى منزلها ما عدآ هذه المرة فقد جلست على شاطئ البحر ومدت على موجه ساقيها أقتربت منها موجة على أستحياء وأصطدمت بها لم تجرحها ولكنها دغدغت

مشاعرها تذكرت طفولتها ووكيف كانت تسعد بوجودها بين أحضان والديها فهي فتاة وحيدة وكذلك كان أبواها ليس لهم أقارب إلا ما ندر. كانت أجمل لحظاتها في المدرسة وخاصة حين كانت زميلاتها ومعلمتها يتغنون بجمالها ورقتها ودلالها ولكن دوام الحال من المحال فقد توفى والديها معاً في نفس اللحظة في حادث سيارة على الطريق الدائري حين حطم سائق تريلا مخدر سيارتهما حتى ألتصق لحمهما بحديد السيارة وكان فصلهما عنها معجزة كبيرة. لم تكتف الموجة بهذه الذكريات ولكنها جلت من صدأ الذاكرة أيضا صورته وكيف كان يتعمد أذلالها وتهميشها وهي من أختارته دون العشرات الذين سعوا ورائها إما لزواج أو لمتعة قصيرة ولكن هو من فاز بقلبها حسبته سيعوضها عن حنان فقدان والديها فتحملت كل شيء من أجله ضحت بمالها وشبابها لأجله وكانت المكافأة الخيانة ومع من مع من حسبتها أختها التي لم تسعد بها وكان الأنتقام من جنس العمل فضحتهما على الملاء وجعلت منهما نموذجاً يجب تجنبه وحين عاد إليها كان شرطها الوحيد للعودة أن ترى

الشمس وهي تغرب على ساقيها وحين غربت الشمس جاء ذليلاً يتمنى رضاها حاول أن يذكرها بأي ذكرى جميلة جمعتهما أو أي موقف أثبت لها فيه أنه يحبها ولكن ذاكرته نحوها كانت بيضاء خالية من أي شيء سوى الحزن والأسى نظر إليها مرة أخرى علها تعفو عنه ولكنها كانت قد أتخذت قرارها فأشاحت بوجهها عنه وأصمت أذنيها فلم تعد تسمع سوى صوت الرياح ولا ترى سوى غروب الشمس مقبلة قدميها فأحبت الشمس بقدر كرهها له.

لحظة صمت لا تدوم

تدور الأيام وتزيد في العمر وتقصر من الأجل المحتوم وتظل هناك مواقف معينة ملتصقة بذاكرة الفرد مهما بلغ من العمر، وسواء كان هذا الموقف في الصبا أو الشباب أوحتى الكهولة إلا أنه يمر أمام أعيننا كأنه يحدث للتو. كان حسن صغيراً لم يبلغ العاشرة من عمره حين أبلغوا أمه أن زوجها قد وافته المنية في أثناء عمله وأن عليها أن تذهب إلى المشفى لتجهيز الجثمان للدفن كان يقف بجوار أمه وأرخى السمع للمكالمة فعرف أن أباه قد مات داهمته لحظة صمت حتى ظن المحيطين به أنه قد مات أخذت أمه تهزه هزاً حتى عاد إلى الحياة باكياً منتحباً على الفقيد وبعد الأنتهاء من مراسم العزاء عاد إلى منزله وحين دلف من الباب تذكر كيف كان أبوه يلقاه مداعباً ومحباً فعاد إلى لحظة صمته التي ما تلبث أن تتلاشى بعد دقائق معدودات أستكمل مسيرة حياته

بمساعدة أمه ولازمته لحظات صمت كثيرة في حياته كانت جميعها ترتبط بأحداث الحزن فيها كان شريكه الدائم وتزوج من أبنة الجيران التي أكتشف ليلة الزواج أنه كان يذوب فيها عشقاً وهو لا يدري وتباينت أيام حياته ما بين سعيد بحمل زوجته وما بين لحظة صمت لوصول مولوده الأول مشوهاً وأحتسبه عند الله ان يكون شفيعاً له في الجنة ورزقه الله الذرية الصالحة وتباعدت لحظات صمته التي أعتدتها زوجته وألفت التعامل معها وطوال هذه السنين كانت أمه هي سنده في الدنيا بعد الله سبحانه وتعالى كانت يضع رأسه على رجلها وينام ولم تكن تتحرك حتى يستيقظ من نومه بل أنها لم تكن تناديه سوى بأسم الدلع التي أعتادت عليه منذ صغره: حسونتي، وحين أرادت زوجته أن تناديه بنفس الأسم غضب غضباً شديداً مؤكداً لها أن هذا الأسم لن ينطقه أحد ولن يسمعه هو من أحد إلا من أمه فقط كان يخاف عليها من الموت بل كان يدعو الله أن لا يبقيه بعدها أبداً فهي كل حياته وكلما زاد تعلقه بأمه قل فترات الصمت التي كانت تصيبه مذ وفاة أبيه حتى كانت اللحظة

الأخيرة تلك اللحظة التي أبلغوه فيها أن أمه قد فارقت الحياة عندها دخل في لحظة صمتة الأخيرة والدائمة فقد أبى أن يترك أمه ترحل بمفردها فكان صمته صمت الموت.

حب حتى الموت

أرتفعت الزغاريد في بيت الحاج حمادة أكبر تاجر غلال في الغورية بمناسبة قدوم ولي العهد والذي أصر الحاج على تسميته أحمد لينادي عليه هو الأخر حمادة الصغير وكانت فرحة الحاج حمادة لا توصف فقد كانت خلفته الأولى كلها بنات من زوجاته الثلاث حتى تزوج من نسمة بنت الحاج مصطفى جارهم ورغم فارق السن إلا أنها أرتضت به لما رأت فيه من شهامة ونبل ورجولة وثراء وأيضا ما شاهدته بنفسها من تعامله مع زوجاته الثلاث حيث يبدي لكل واحدة منهن مقداراً من الحب كأنها حبه الوحيد.

فرحت نسمة بمقدم حمادة الصغير ولكنها لم تسعد به كثيراً فقد أصيبت بمرض عضال أودى بحياتها بعد عام فقط من ولادتها وأنتقل ولي العهد للعيش مع أم نهى زوجة أبيه الأولى وهناك أعتنت به نهى كأنه وليدها

فهي في الثامنة عشر من عمرها وعلى وشك الزواج فكانت نعم الأم قبل الزواج وبعده حيث أصرت على أن يعيش معها في بيتها وبرفقة أبنائها الذين رزقت بهم بعد الزواج أحمد ومحمد ومحمود فكان حمادة الصغير أخ كبير لهم أحسنت نهى تربية حمادة فأدخلته أحسن المدارس فكان العلم والثقافة جزء من شخصيته وعلمه أبوه الرجولة والمجدعة في محلاته التي كان يعمل بها خلال العطل الصيفية وكبر حمادة وحان وقت الزواج ليفرح حمادة الكبير بأول حفيد من ذريته ووقع الأختيار على أبنة خالته تخليداً لذكرى أمه ووافق حمادة الصغير رغم أنه لم يجد لديها العاطفة التي يبحث عنها فقد كان زئر نساء خفي لا يعلم أحد عن مغامراته شيء وأنتقلت حنان لتعيش في منزل حمادة الصغير ورزق منها بولد أسماه جده طارق وما لبث أن توفي الحاج حمادة وأنتقلت الثروة إلى حمادة الصغير كاملة وحين أخبرت حنان حمادة أن أخاها صابر يبحث عن شقة قرر أن يؤجر له أحدى شقق العمارة التي يملكها ورأى حمادة أميمة زوجة صابر لأول مرة فجن بها ولكنه لم يخبر أحد

حرصاً على العائلة وكانت أميمة نموذج لهوانم العصر الجميل وهي هانم فعلاً فجدها لأمها باشا من بشوات مصر وأحست أميمة بمشاعر حمادة ولكنها لم تعط له فرصة أبداً عاملته بما يجب أن يعامل به ولكن الأمور ساءت بين صابر وأميمة فقد كان صابر شديد الغلاظة والغيرة بلا حب فكان الطلاق وبما أنها حاضنة بقيت في الشقة وغادرها صابر مجبراً وتخيل حمادة أن الأمور تصب في صالحة ولكن رغم أعجاب أميمة الشديد به رفضت كل محاولات تقربه إليها وأعتبرتها تجاوزاً في حق الجيرة وصلة القرابة وكلما تمنعت زاد عشقه لها ورغم محاولات صابر الرجوع إليها إلا أنها أقفلت بابه تماماً وكلما نجح حمادة في العمل وتوسع في تجارته كان يحس بفرحها وتشجيعها وتوفت أمها فكان على رأس المعزيين بل هو بنفسه من أشرف على كل كبيرة وصغيرة في العزاء وفي هذه الليلة أنفجر بركان الحب في قلبها وبعد الأربعين لم تعد أميمة تصده كما كانت تفعل سابقاً بل تركت له الباب مواربا وأستأذن زوجته في أمر زواجه ورغم أحساسها بضيق غريب من هذه الزيجة إلا

أنها وافقت فهي تحبه بشدة وتريد سعادته بأي شكل وقرر حمادة أن يعيد مراسم فرحه الأول و في الشارع نفسه ومع زفة العروسين أنطلقت رصاصة صابر لتستقر في قلب حمادة الذي أفتدى عشقه الوحيد بحياته.

النظارة

ولد ممدوح في أسرة فقيرة جدا تكاد تجد قوت يومها فأبوه عامل في الفاعل يخرج صباح كل يوم يتاجر بصحته في حمل الأسمنت والرمل وتكسير الخرسانة وكل ما يتعلق بأعمال البناء من مشقة مقابل جنيهات معدودة تكفي بالكاد الجيش العرمرم الذي يأويه في غرفة أسفل عقار قديم متهالك بل آيل للسقوط في أي لحظة. أما أمه فكانت تنتقل للخدمة في البيوت أصحابها من الطبقة المتوسطة فهي تعاني من آثار فيروس C الذي أنهكها فلم تعد تستطيع خدمة البيوت الكبيرة لأصحابها الأغنياء فكان ما تحصل عليه يكمل باقي دخل الأسرة. لأحظت أم ممدوح أنه يتعثر كثيراً حين بدأ المشي بل أنه كثيراً ما كان يصطدم بقطع الأثاث المحطمة في المنزل فأصطحبه أبوه إلى طبيب عيون أفاد بأن الولد يعاني من ضعف عام في البصر وأن وقت علاجه قد فات وأن الحل

الوحيد هو عمل نظارة للنظر ذات عدسة سميكة قد تمكنه من رؤية الأشياء القريبة جداً وذات الحجم الكبير. ألتحق ممدوح بالمدرسة وكانت معاناته في المذاكرة أقل بكثير من معناته من سخرية أقرانه من نظارته فأطلقوا عليه أبو نظارة حتى هو نفسه لم يعد يتذكر أن أسمه ممدوح كان جل همه أن يتخلص من هذا الكائن الرابض فوق أنفه المتعلق بأذنيه بأي طريقة فصم أذنيه عن سخريتهم وواصل نجاحاته من مرحلة إلى مرحلة حتى أنهى كلية الحقوق وأصبح محامي تحت التمرين وكان بارعاً في عمله فأصبح بعد فترة وجيزة رقم واحد في المكتب بل أن سعادة المستشار أعتمد عليه أعتماداً كبيراً في عمله وأصبح أسمه مرة أخرى الأستاذ أبو نظارة المحامي وتزوج من أحدى قريبات المستشار من الفرع الفقير في العائلة وحين حملت وقاربت على الولادة أراد أن يتخلص من أسمه ووصفه فزار أحد أطباء العيون ذائعي الصيت الذي أشار عليه أن يجري عملية ليزر يحسن بها نظره بات ليلته يحلم بعمل العملية ومن ثم ينطلق إلى المشفى ليرى وليده لأول مرة دون حاجز

بينهما وخرج من العملية ونزع الطبيب الضمادة ولكنه لم يرى شيئا فقد فقد بصره ولم يجد الطبيب فقد هرب وترك العيادة صرخ صراخاً عالياً دون جدوى بحث حوله فلم يجد سوى النظارة القديمة وضعها على عينه آملا أن يعود نظره وتلمس الجدران حتى وصل فتحة الباب ولكنه تعثر فسقط وكسرت نظارته.

وجاهه

وقفت تحملق في البضائع المعروضة في واجهة المحل حتى جذبت أنظار الباعة والجائلين الجميع يطالع فيها فهي تتفحص البضائع بعينيها وتضع يديها على جسدها كأنها تقوم بعمل بروفة للمقاس وتنتقل من موديل إلى أخر غير عابئة بأصوات السيارات ولا المارة ولا حتى الزبائن الذين يترددون على المحل وما أن أنتهت من القياس حتى تحسست شنتطتها وفتحت حافظة النقود الخاوية وظلت تقلب فيها علها تجد ما يسد ثمن أي قطعة منها وفي نفس الوقت كانت سيارة أحمد تمر بجوارها نظر إليها نظرة طويلة فقد أطال الوقوف في إشارة المرور تذكر هذا الوجه رغم مرور عشرات السنين وكيف لا يتذكرها وهي حب حياته التي ظل يحلم بيوم يجتمعا فيه تحت سقف واحد أنهى تعليمه بسرعة وبحث عن فرصة عمل تناسب مجال تخصصه النادر في

الهندسة وهنا أسرع الخطى إلى بيتها طالباً يدها تمنعت فترة وتركته فترة حتى إذا أحست بقرب فقدانه عادت إليه أثقلت عليه بطلباتها وكان مرتبه جيداً ولكنه غير كاف لكل ما تريد سألها مرة لماذا كل هذه المشتريات كان ردها لزوم الوجاهة. حاول أن يتكيف معها لشدة حبه لها وما أن أحس أنها أصبحت ملك له إلا ووجد من يطرق بابه حاملاً له كيسا به كل هداياه وشبكته عرف أنها أختارت من هو أكثر منه مالاً وأفقر علماً ونسباً. أنفق سيد عليها من الأموال ما لم تصدقه وهبها الوجاهة التي بحثت عنها وبعد أول لقاء لهما في الفراش نثر لها بضع مئات من الجنيهات بجوارها وسدد إيجار الشقة المفروشة لمدة أسبوع حاولت أن تعود لأهلها لكنهم لفظوها ولم تجد غير الشارع مأوى لها تقتات بما يجود الناس عليها به تهيم على وجهها ليلاً ونهاراً متطلعة في فترينات المحلات متخيلة نفسها تلبس ما تشاهد لم يجدوا لها أسماً سوى وجاهة.

ذات الرداء الأحمر

لقد سلم القاتل نفسه. هذه الكلمات هي التي سجلها معاون المباحث في دفتر اليومية لقسم المنتزه بالإسكندرية حيث وقعت جريمة قتل صباح اليوم في إحدى الشقق الفاخرة بذات المنطقة. بدأ القاتل من هيئته أنه ليس ربيب الأجرام بل هو من عائلة من أشهر عائلات المحافظة وقد عُرف عنه أخلاقه العالية وحب الجميع وأحترامهم له فقد كان أجتماعياً إلى أبعد الحدود وحين بدأت التحقيقات أخذ يسرد جميع أحداث الجريمة وما سبقها بكل هدوء كأن شيء لم يحدث فالقتيلة زوجته وقد أختارها بعد عزوف عن الزواج دام عشرات السنين ولم يستمر الزواج سوى أقل من عام وأنتهى بهذه النهاية المفجعة وحين سئله المحقق عن سبب قتله لزوجته كان رده مفعماً فليس من أجل ذلك تُقتل النفوس.

سرد حكايته بداية من صغره حين كانت أمه تضعه في سريره وهو صغير وتحكي له حكاية ذات الرداء الأحمر وكيف كانت حياتها ومدى جمالها والمآسي التي وقعت لها مذ ماتت أمها تعلق قلبه بها؛ نعم بذات الرداء الأحمر وعاش طفولته مولعاً بها متخيلاً لها صديقة له ولما بلغ الشباب كان تخيله قد تحول إلى حب عنيف لا يقبل دونها أحد حاولت أمه وأخوته وأقاربه أن يقنعونه أنها من وحي القصص ولا توجد في الواقع ولكنه أبى إلا أن يبحث عنها في جميع أنحاء العالم سافر كثيراً شرق وغرب دار أنحاء مصر ولم يجدها حتى رآها صدفة تتبختر أمامه لابسة الرداء الأحمر الذي سمع عنه من أمه ورآه على صفحات القصص لم يتركها تفلت من بين يديه بل سريعاً تقدم إليها طالبا لها عرفت نقطة ضعفه: الرداء الأحمر لم تتوان عن أستغلالها، تتمنع عليه تخاصمه تطابه بأشياء ليست من حقها قبل الزواج. أسرع في الزفاف حتى يملكها بين يديه وفي أول ليلة معها أكتشف أنها ليست عذراء سردت له قصة طويلة عن تعرضها للأغتصاب على يد واحد من

الأقارب لم يصدقها بعقله ولكن قلبه عماه عن التفكير فقبل الحكاية برمتها وبدأت حياتهما بأول خديعة له ولم تكتف بذلك بل كانت تتواصل مع من أدعت أنه أغتصبها حتى علم بالأمر واجهها لم تنكر قالت له كلمة واحدة: يا مجنون روح دور على ذات الرداء الأحمر عند أمك في القصص. لم يدر سوى أنه قد أغمد السكين في قلبها وحين سقطت على الأرض كان الرداء الذي تلبسه قد أختضب باللون الأحمر بفعل الدم الذي خرج من طعناته فأحتضنها وظل يبكي حت فارقت الحياة.

غيرة حمقاء

وضعت سوسن مولودها الأول بعد طول أنتظار دام خمسة وعشرون عاماً ربع قرن من الزمان وهي تنتظر هذا المولود ربع قرن من الزمان وهي تدعو الله ليلاً ونهاراً أن يرزقها الولد الصالح ولم تيأس من الدعاء فهي تعرف الله حق معرفته صوامة قوامة ليس لها في شؤون الأخرين فقط ترعى زوجها مذ تزوجت وهي في السادسة عشر من عمرها وبعد وفاة والدها أعتنت بأمها خير رعاية فقد كانت هي أيضا وحيدة والديها وتوفت أمها وكانت أخر دعوها رب هب لأبنتي الذرية الصالحة ولم تمض الأيام كثيراً حتى كان ميلاد محمداً فاتحة خير لأمه وأبيه فقد حقق الله سبحانه وتعالى أمنيتهما في حج بيته المعظم وكان محمداً رضيعاً صغيراً وعند باب الكعبة دعت الله أن يجعله باراً بوالديه وأن يحفظه من كل سوء وأستجاب الله لدعوتهما فشب محمد محباً لهما طائعاً أوامرهما

وحين توفي أبوه كانت رأسه على صدر ولده محمداً يدعو له وكبر محمداً وكان لابد أن يتزوج فقد شاخت أمه وتحتاج من يرعاها ويرعاه وقع الأختيار على قريبة لهم تتستر بستار الدين وتقول ما لا تفعل وما أن دخلت حياتهما إلا وحولتها لجحيم لا يطاق كرهت أمه غارت منها كيف تحبها أكثر مني كيف تعاملها بلطف عني حاول أن يقنعها أن حبه لها غير حبه لأمه كلتهما لها من قلبه نصيب لم تقتنع وحاولت أن تخرجها من البيت ولكن لم تفلح حيلتها حتى قررت بغبائها أن تضع حداً لحياة العجوز وفي ظلام الليل الحالك أشعلت النيران على باب أمه فلما أحس بحرارة النيران هب من نومه فأقتحم الغرفة وحمل أمه خارج الدار وعاد ليحمل زوجه وأولاده وحين أخرج أصغرهم بحث عن زوجته فلم يجدها دخل المنزل يبحث عنها فسمع صوت أنين يأتي من غرفة أمه حاول أن يفتح الباب ولكن هيهات هيهات وكانت أخر كلماتها سامحني وخلي أمك تسامحني.

على الهامش

يرن جرس المنبه كثيراً جدا ولكنه لا يفيق أبداً فهو مذ أنهى دراسته الجامعية وهو يبحث عن عمل يناسب قدراته وطموحاته التي يرى هو نفسه أنها أكبر من أي عمل حاول الألتحاق به. تجذب أمه الغطاء من فوقه عله يفيق ويبدأ يومه في البحث عن عمل فلقد أرهقها بمصاريفه التي لا تقدر عليها خاصة بعد وفاة والده وتقاعدها عن العمل وضآلة المعاش الذي تتقاضاه. أخيراً أفاق فقرأت أمه الشهادتين أختار أحسن الملابس المتوافرة لديه وذهب إلى شركة والد حبيبته التي أذهب كلامه عن طموحه وقدراته عقلها فأمنت به إيماناً راسخاً وألغت التفكير من عقلها وقررت أن يكون لها مهما كانت العواقب وقد سايرها أبوها في مبتغاها فهي أبنته الوحيدة التي رزق بها بعد طول أنتظار ولم يكن يريد سوى سعادتها هو أيضا كان يرى في مدحت نموذجاً للشاب الطموح

الـذي يمكـن أن يعتمـد عليـه فـي إدارة الشـركة إذا قـرر التقاعـد وتمـت المقابلـة وقـرر تعـين مـدحت فـي وظيفـة مـدير العلاقـات العامـة وكانـت الشركة متعددة الجنسيات كان لابد أن يفهم عقليات كافة الشركاء ويتفهم متطلبـاتهم مـن فـرع الشـركة فـي القـاهرة لـم يبـدأ العمـل إلا بعـد شـراء العشـرات مـن البـدل والسـاعات والأشـياء التـي تبـدل مظهـره الخـارجي ولكنها لم تغير من الفراغ الداخلي لديه حاول أن يتأقلم مع وضعه الجديد أن يعمل ولكن كيف يعمل من ليس لديـه سـوى الرغبـة دون العلـم ومـع الوقت بدأ غير قـادر علـى أداء العمـل المكلـف بـه فبـدأ ينسـحب تـدريجياً بحجج واهية حتى عاد إلـى فراشـة مـرة أخـرى ليبقـى علـى الهـامش كمـا تعود وعاد جرس المنبه من جديد وعادت أمه توقظه من جديد

حلم السنين الضائع

تزاملآ في المدرسة وكان يكبرها بسنتين كانت زميلة أخته الصغرى مذ وقعت عيناه عليها وقع في غرامها ولما لا وهي ذات الوجه الطفولي وعينان ساحرتان وشعر أسود فاحم السواد ينسدل على كتفيها كأنه يحتويها بخصلاته كانا لا يفترقان في أتوبيس المدرسة يجلس خلفها يداعب بأنامله خصلات شعرها ويصل منزله قبلها فهي تسكن خلفه فيصعد الدرج مسرعاً ليتصل بها على الهاتف حتى تصعد منزلها فتجد رنين جرس الهاتف كأنه يبثها شوقه وغرامه لم يكن يحسب الوقت وهو معها فهي أميرته وحبيبته وحياته كلها كان يحتضن الكاسيت ليلاً على أغاني أم كلثوم وعبد الحليم فيزداد شوقه لها حتى الصباح الباكر كانت حياته نعم هي حياته وأنتهى العام الدراسي وتخرج وعجز عن الوصول إليها أختفت فجأة لا ترد على الهاتف ولا تذهب إلى المدرسة كان يذهب

إلى منزلها ويظل منتظراً بالساعات عله يراها أو يعرف أخبارها حتى أخته حين سألها عنها قالت لا أعرف جن جنونه كيف تختفي هكذا دون مبرر دون كلمة وداع وألتحق بالجامعة وفيها وجد شبيهتها أحبها ولكنها أعتذرت له بأنها أكبر منه ظل يدور في حلقات فارغة يبحث عنها ويرها في صديقته علم أنها تركت محل سكنها إلي أين لا يعرف وتوفي والده في عامه الجامعي الثاني وزادت مسؤولياته وتلاشت بعض الشيء من ذاكرته ولكنها ظلت محتفظة بمكانها في قلبه وتزوج وأنجب وأخبره أحد أصدقائه أنها أيضا تزوجت وأنجبت وظهر الفيس بوك هذا الموقع الذي جمع شمل المفترقين وأخيراً وجد صفحتها ووافقت على طلب صداقته لم يسألها أين ذهبت كان يخاف أن تغضب وتطرده من عالمه الأفتراضي معها وظل يتابعها ويتابع أخبارها وصورها ومع كل صورة جديدة لها كان يتذكر موقفا لهما معاً وجائته الفرصة ليراها عن قرب في حفل أحد الأصدقاء المقربين أرتدى أفضل وأغلى ثيابه ووضع أروع عطر كانت تشتمه فيه فيثير إعجابها ولم يجلس على طاولته ولكن وقف

على الباب في أنتظارها كأنه عريس ينتظر قدوم عروسته وكلما دخلت واحدة طالع فيها علها تكون هي ولكنها أبداً ما كانت ومع أقترابه من اليأس سمع صوتها من خلفه يناديه نادر أزيك وحشتني قال لها أسف يا فندم بس حضرتك مين قالت أنا سوسن أنت نسيتني ولا أيه قال لا بس سوسن لا تشبهك الصوت واحد والشعر واحد ولكن الوجه غير من أنت أنا سوسن وده النيولوك بتاعي الجديد تركها مسرعاً وخرج من الحفل لاعناً عمليات التجميل وما تغيره في البشر أسفاً على ضياع حلم السنين.

قطع زجاج متناثرة

تزوجها وهو يعلم أنها مريضة بالشك وحذرته أمه من هذه الزيجة التي لن تعود عليه إلا بالهم والكأبة وكنه كان يحبها وكان هذا الحب سبباً في غفران الكثير من زلتها حتى حين ذهبت فجأة إلى مقر عمله ورأته يحتسي كوباً من النسكافيه مع أحدى زميلاته أسمعتهما ما لم يسمعه أحد منهما في حياته من كلمات مبتذلة ورخيصة لا يسمعها إلا من أبناء الشوارع أو تلك الفئة التي لم تنال أي تربية أو تعليم في حياتها. تزوجها في حفل فاق وصفه الخيال وكانت أول مشكلة له حين أنصرف المدعون وهما أن يذهبآ إلى غرفتهما في الفندق الفاخر حيث فاجأته ببكاء شديد وصراخ طالبة منه توضيح السبب الذي جعله يرقص مع أبنة عمه بشكل يوحي أن هناك ما يربط بينهما وأنه لم يكتف فقط بالرقصة ولكنه أضاف إليها قبلة على خديها هدأ منها وأحتضنها

وأفهمها أن نيرة أبنة عمه وأخته في الرضاعة وهو ولد وحيد ليس له أخوة وهي الوحيدة التي عاش معها طفولته ومراهقته وشبابه والكل يعلم أنها أخته وليست أبنة عمة فقد كانا يعرفان أصدقائهما بالأسم الأول لكل منهما مقروناً بلقب العائلة. تفهمت الموقف على مضض وإن أقسمت له أن كرر هذا الفعل سواء مع أخته أو أمه أو أي أمرأه غيرها فلا يلوم سوى نفسه. كانت حياته كتلة من البؤس والتعاسة فهو لا يعرف من أين يأتيه الشر منها خاصة منذ قرر أن يعمل في التجارة بعيداً عن العمل الحكومي، ومقتضيات عمله تفرض عليه السفر دائماً وكلما عاد قابلته وكأنه أحد أسباب مشكلات العالم كله، تساؤلاتها وأستفساراتها تضعه دائماً في مجال الشك يحاول أن يقنعها أن لا أحد غيرها في حياته وأنه رجل يحترم ذاته، فترفض أن تصدق وتعلل ذلك برؤية فلان أو فلانة له في أحد الأماكن برفقة أخرى، وحين ينفي تعتبر نفيه أثباتاً، تجاوزت كل الخطوط الحمراء حتى ضاقت نفسه وضاع الحب فصاح بها بصوت عال أسف لم يعد لي وجود في حياتك، لقد قررتِ كرهاً أخراجي، وها

أنا ذا أجمع حاجاتي وأذهب محترماً ذاتي، وفجأة أمسكت بكوب قهوة الصباح وألقت به على الأرض فتناثرت قطع الكوب متبعثرة داخل أركان الغرفة وكأنها تمثل علاقتهما، وحين أكتشفت خطأها كان رحيله قد سبق البكاء فصاحت بأعلى صوتها منادية خادمتها: ماريسا أجمعي هذه القطع وأعدي لي كوب آخر من القهوة.

نجوى

حين آن الأوان للرحيل ولدت نجوى طفلة جميلة بكل معنى الكلمة حملت أمها فيها وهي فوق الأربعين وتوفي أبوها قبل مولدها بأربعين يوما فكانت ذكرى ميلادها مليئة بالمشاعر المختلطة ما بين فرح وهم.

حنا عليها كل أهل البيت ولما لا وهي كما يقولون أخر العنقود ولكن المأساة أن بينها وبين أصغرهم عقود فكانت أصغر من أصغر أبناء أخوانها أهتمت بها أمها أهتماما كبيراً كانت تخاف الموت قبل أن تكبر نجوى حتى لا تتركها وحيدة في الدنيا فكلاً مشغول في حياته لم تهتم بتعليمها كثيراً فيكفي أن تنجح و بدورها في المنزل كانت تقوم بكل الأعباء بمساعدة الخادمات لم تعرف نجوى في حياتها سوى تلبية رغباتها مادية أو غيرها وحين أحست الأم بدنو الأجل كان قرار زواجها من أبن الجيران جاهزاً ورغم فرق السن إلا أن الأم أقنعت

أبنتها بفائدة هذه الزيجة وفي صبيحة العرس توفت الأم تاركة نجوى لم تتجاوز الثامنة عشر من العمر مع زوج يكبرها بعشرين عاماً. لم يكن الزوج صاحب خبرة في الحياة الزوجية ولا الجنسية حتى أنها نقلت للمستشفى صبيحة العرس وكان السبب الظاهر وفاة الأم ولكن السبب هو النزيف الذي أحدثه الزوج نتيجة عنف أول ليلة أنطوت على نفسها وأبتعدت عن زوجها رويداً رويداً أنجبت طفلين كانا في صغرهما شغلها الشاغل ومع تقدمهما في العمر وأعتمادهما على نفسيهما أبتعدا هما الأخران عنها فعادت إلى عزلتها حتى عرفت مواقع التواصل الأجتماعي وبدأت في التواصل مع أشخاص لا تعرفهم ومع أول كلمة حانية وقعت في براثن الحب الذي لم تعشه وتطور الحب إلى عشق ومبادلة صور حتى كانت الخيانة وحين نال منها ما أراد حولها تحت تهديد الصور والتسجيلات إلى دعارة تجني له الأموال وحين رفضت أبلغ عنها مباحث الآداب التي قبضت عليها في شقة أحدهم. تبرأ منها زوجها وأولادها وحين ركبت سيارة الترحيلات بكت بشدة وخاصة

عندما مرت السيارة أمام منزلها أخرجت من جيبها علبة الدواء وأبتلعتها كاملة لم تستطيع الصمود ماتت في السيارة وكأنها جاءت الدنيا فقط لتنجب أولادها.

فداء

" ريم حبيبتي أصحي من النوم ترى الباص قرب موعده "، هكذا كانت أم ريم تنادي عليها كل صباح لتطمئن عليها وتجهزها للذهاب إلى المدرسة، ولأسم ريم عند أمها قدر عظيم؛ فهو أسم والدتها التي حُرمت منها وهي رضيعة وقد سمّت أول مولودة لها بهذا الأسم فكانت ريم أبنةً وأماً لوالدتها، فحين تضمها أمها كانت تحس بمشاعر مزدوجة بين الأمومة والبنوة. عملت أم ريم معلمة في أحدى المدارس الأبتدائية، كانت متعتها حين تزين لصغيرة ضفيرتيها أو تطعمها بيدها. لقد كان عشقها لصغيراتها لا حد له وأن غابت أحداهن حزنت حزناً شديداً، ولو مرضت عادتها أطمأنت عليها حتى تعود إلى الدوام مرة أخرى. كانت أم ريم تعيش في قلق دائم تخاف من شيء مجهول لا تعرفه ولكنه تحسه، كانت الهواجس تأتيها ليلاً وهي نائمة فتهب فزعة من فراشها

تحتضن أبنتها وتقبلها وكأنها تودعها، لم تكن الصغيرة تدرك هذه المعاني ولكنها كانت سعيدة بأمها وحنانها، وفي ليلة السبت قبل العطلة الصيفية بأسبوع واحد أستيقظت أم ريم على حلم أفزعها كثيراً أستعاذت بالله من الشيطان الرجيم وذهبت كعادتها إلى فراش ريم لتقبلها ولكنها فجأة قررت أن تنام بجوارها أخذتها في حضنها وضمتها وقبلتها حتى راحتا في سبات عميق. دق جرس المنبه فقامت مسرعة لتحضر طعام الأفطار قبل الذهاب للمدرسة، أستقبلت طالباتها بأبتسامتها المعهودة وأخذت تداعبهن وتلاطفهن وكلما مرت عليها واحدة من زميلاتها أبتسمت في وجهها وسلمت عليها بحرارة وفجأة دق جرس أنذار الحريق لا تعرف ماذا تفعل كان جل همها بناتها الصغار أخرجتهن من الباب، واحدة تلو الأخرى، ولكن الحريق أمتد إلى باب الخروج، أخذت أحد الكراسي وحطمت النافذة أندفع الدخان داخل الغرفة أحست بالأختناق نظرت إلى أسفل فوجدت رجال الدفاع المدني يحاولون الصعود إليها جذبت إليها آخر ثلاث طالبات داخل الفصل حملتهن

ووضعتهن على سلالم الإنقاذ وحين همت بالخروج كانت النيران قد حاصرت المكان والدخان أطبق عليها من كل جهة نطقت بالشهادة وهي تودع أبنتها ريم فكانت صورة ريم آخر ما رأت.

زينهم

يا زينهم: نادته أمه بصوت عال فلم يجبها متعمداً، فهو يكره أسمه الذي يذكره بحياة الفقر التي يعيشها هو وأخوانه، فمنذ وعي لمعاني الأشياء وهو يتعمد تجاهل كل من يناديه بأسمه، أدرك أن الفقر قد ورث جزءاً كبيراً من حياتهم يشاركهم فيها، أبوه (أرزاقي) يكاد يكفي عائلته قوت يوم بيوم، يخرج في الصباح الباكر حاملاً عجلة شحذ السكاكين والقواطع بحثاً عن زبون في حارتهم الصغيرة الضيقة أو في الحواري المتاخمة لها، فيعطيه هذا نصف الجنيه والآخر أقل من الجنيه حتى أذا ما أدركه التعب أحصى ما كسبه في يومه وأشترى به طعام لعائلته ليدخل المنزل قرب العشاء منهكاً فيضع الطعام على أرض الغرفة الوحيدة بالبيت فيلتقمه زينهم وأخوانه السبعة كأنهم أسود ضارية ومن يتأخر ليس له من الطعام نصيب هذه هي القاعدة التي تقوم عليها الحياة

في هذا البيت، أنصب تفكيره على الهروب من هذا المكان أو السجن كما كان يحلو له أن يسميه، كان شديد الجفاء مع أبويه وأخوانه أنحصر تفكيره طوال طفولته ومراهقته في الحصول على أعلى الدرجات في الأختبارات عل الشهادة الجامعية تغير من الأمر شيئا، كان حلمه خيالي ورغم خياله سعى لتحقيقه كله فهو لا يرض بجزء من هذه الأحلام فقد سئم المشاركة في كل شيء، وتحقق أول أحلامه وأصبح طالباً في كلية الهندسة، وزادت الهوة بينه وبين كل العائلة فطوال سنوات دراسته لم يزره زميل أو يعرف بيته صديق، بلغ سن الحادية والعشرين فأصبح حسب قوانين الحكومة بالغاً فكان أو قرار له تغيير أسمه إلى مهند، بحث عن فرصة عمل في أحدى الشركات الكبرى وبذكائه نال أحداها، أجتهد في عمله واصل الليل بالنهار أنقطع تماماً عن أسرته لم يعد أحد منهم يعرف له طريقاً، كسب كثيراً من المال وأصبح من أصحاب الحسابات المصرفية أودع آلاف الجنيهات ومئات القطع الذهبية والمجوهرات في خزائن خاصة في البنوك، بحث عن ذات النسب ليمحو بنسبها كل

ماضيه وتزوج أبنة أحد كبار رجال الدولة وأخبرهم أن كل عائلته ماتت في حادث أنهيار منزل وأنه وحيد في هذه الدنيا، تزوج مهند من فريدة هانم كما كان ينابيها كل من حولها تعالت عليه ولم يستطع أن يرفض فقد كان يختبئ وراء أسم أبيها في كيان أجتماعي جديد طالما حلم به حتى أولاده كانوا يتعاملون معه مثل والدتهم، زل لسانه مرة بمعلومات عن ماضيه أعتبرته زوجته مجنوناً ووضعته تحت الحجر تركه أولاده وحيداً في شيبته لا يقدمون له سوى ما يكفي من طعام وشراب وذات ليلة عثروا عليه ميتاً على كرسيه وفي يده ورقه كتب عليها: إلى أمي الحبيبة سامحيني أبنك زينهم.

دموع الفراق

ولدا في نفس اليوم لعائلة واحدة فهما أبناء عمومة وأبناء خالة في نفس الوقت سماها أبوها فرحة وسماه أبوه رحيم، وشاءت الظروف أن ينتقل الأبوان للعمل معاً في نفس الشركة ونفس المدينة فقررا أن يستأجرا شقتين في نفس العقار فكانت الظروف مواتية ليعيشا معا حياة الطفولة والمراهقة التي ربط الحب فيها بين قلبهما وبارك الأباء هذا الحب وكانت كل الأحاديث تدور حول أتمام هذا الأرتباط بالزواج وألتحقا بالجامعة فأعلنت خطبتهما رسميا عاشا سنوات الجامعة يخططان لعشهما الصغير ويتخيلانه ويضعا بصمتيهما على كل شبر فيه وحين أنتهيا من الجامعة حدد موعد الزفاف ولأستكمال الإجراءات كان لابد من الفحص الطبي الذي أوضح أستحالة إتمام هذه الزيجة التي أن تمت ستنتهي بوفاة الزوجة أن حملت أو تشوه الجنين وخارج مركز التحاليل

كان الوداع الدامي فقد قرر الهجرة بعيدا ليس رغبة في الخلفة ولكن خوفاً عليها.

غربةوطن

مبروك يا أستاذ حسن المدام جابت لك ولد أخيراً بعد كل هذا الأنتظار أحمدك يارب حمدا لله على السلامة يا أم حسين لقد أنعم الله علينا بحسين فلنعاهد الله على حسن تربيته وهكذا نشاء حسين بين والدين يخافان عليه من كل شيء حرصا على تربيته تربية دينية وأبعداه عن أي غريب كانت المنطقة التي يقطنون فيها هادئة يكاد أحدهم يعرف الأخر كبر حسين وتوفي والداه وعاش في شقته وحيداً لم يكن له أقارب فقط مجموعة من الزملاء تنقطع صلته بهم بمجرد أن يخرج من العمل وفي أحد الأيام كان يسير في شارع القصر العيني حين خرجت مظاهرة تندد بالحكومة وبالحكم وفجأة أغمي عليه جراء القنابل المسيلة للدموع وحين أفاق وجد نفسه في زنزانة ضيقة ومعه أكثر من عشرة أشخاص حاول أن يعرف لماذا هو في هذا المكان ماذا فعل لا مجيب كانوا يستدعونه

للتحقيق معه عن جماعته وقادته كان يسمع كلاماً غريباً لا يعرفه حاولوا أنتزاع أي معلومات منه وهو لا يجيب تغير من معه في الحبس أكثر من مرة ومن بقي كانت تأتيه زيارات من أهله إلا هو لم يسأل عنه أحد أستمر على ذلك مدة لم يعرفها حتى نسى العالم الخارجي وأخيرا أفرج عنه خرج من باب القسم لا يعرف أين يذهب فقد نسي بيته وعمله جلس على أقرب رصيف وبقي جالساً عليه لا يعرف من هو ولماذا يجلس في هذا المكان فهو غريب في وطنه.

43 ثانية قبل الانطلاق

دقت رنات هاتفه المحمول لتعلن عن تمام السابعة صباحاً وقت أستيقاظه من النوم، قام مسرعاً – كعادته دائما – أرتدى ملابسه وأحتسى كوباً من القهوة نزل سلالم المنزل قفزاً لم ينتظر المصعد فهو بطيء وهو يكره البطء ويكره الأنتظار، أدار محرك سيارته وأنطلق مسرعاً في أتجاه مقر عمله حيث يعمل مهندساً في أحدى الشركات واليوم بالذات يمثل له نقطة فاصلة في حياته حيث سيوقع عقد مشروع بمئات الملايين مما سينقله من خانة الموظفين الأكفاء إلى الموظفين المتميزين. أراد أن يكون أول الواصلين إلى مقر العمل وفجأة أحمرت لمبات إشارة المرور ورأى العد التنازلي يبدأ من الرقم 43 إنها الثواني التي سيقفها أنتظاراً خلف خط الإشارة قفزت إلى ذهنه فجأة صورته وهو صغير فاليوم يكمل أعوامه الثلاث والأربعون. تدفقت الذكريات فجأة كأنها شريط

سينمائي يمر لقطة لقطة وفي كل لقطة ذكرى لازالت تمثل له نقطة تحول في حياته تذكر كيف كان يلعب في الشارع أمام بيته كانوا يلقبونه بالغزالة لرفع ساقيه وطولهما وسرعته العالية في الجري كان يقفز أعلى من الجميع ويفوقهم في كل ما يتطلب من جهد وحركة ورغم ذلك كان تفوقه العلمي واضحا مما جعل والديه يتركونه يدير شأن حياته بنفسه ثقة منهم فيه. توفي والده وهو في ختام المرحلة المتوسطة تبعثرت أوراقه وتشتت أفكاره فرغم أن والده كان دائم السفر والغربة إلا أنه كان يمثل له الأمان المعيشي فلم يكن يبخل عليهم بعواطفه ولا ماله بدأ الأنسحاب من الشارع والتركيز في المذاكرة فهو أكبر أخوانه وعضد أمه بعد وفاة أبيه كفكف أحزانه وأستجمع رباط جأشه وأنطلق يحصد النجاح تلو النجاح حتى أنهى دراسته الجامعية ولكنه لم يتوقف عن السرعة في كل حياته، رأها تعبر أمامه يعرفها هي أبنه أحد الجيران ولكنه أبداً لم يكن ينظر للطرف الأخر في المعادلة البشرية فكانت أمه هي كل الطرف الأخر كانت قد فكت ضفائرها وأطالت شعرها

وأصبحت نموذجا لكل ما يتمناه الشاب في رفيقة المستقبل أدب وعلم ونسب تقدم لخطبتها فرحت به فقد كان معروفاً لدى الجميع بأدبه وتفوقه وحين أقتربت منه وجدته يتعامل معها كأنها جزء مفروض في حياته فهو لابد أن يتزوج ويكون أسره حتى يريح بال أمه لم يمهلها كثيراً لتفرح بخطبتهما لقد قرر أن يعجل بالزواج فهو ينتظر أقرب فرصة للعمل خارج البلاد، كان متعجلاً في كل شيء يربطهما مما جعل حبه يخفت في قلبها حدد موعداً قريباً للزفاف ففجأته بأعادة دبلته وشبكته فهي تريد زوجاً تأنس به وليس قطاراً يدهس كل ما يقابله سافر وأجل كل مشاريع الزواج فهو يبحث عن توأمها ولكنه لم يجدها طوال كل هذه السنين فظل نادماً على أضاعتها من يده وفجأة سمع نفير السيارات يدوي عالياً ينبئه ببداية عامه الرابع والأربعين بتجاوزه الإشارة.

رذاذ محبرة

أمسك محبرة قلمه وألقى بها بعيداً عنه فتناثرت قطرات الحبر الأسود على أوراقه ناصعة البياض فتلوثت الأوراق بها وأختلف تلوثها حسب قربها من المحبرة وكأنه بفعله هذا يعلن عن تشتت أفكاره وعدم قدرته على مجاراة ما يدور حوله. فقد عاش سبعين عاماً كاملة منها خمسون عاماً عمل من خلالها كاتباً ينثر بقلمه أفكاره ويحاور كل من يقرأ له مثقفاً كان أم من عامة الشعب ولكنه لاحظ أخيراً أن ما يكتبه لا أحد يقرأه ورغم ذلك يجادلونه فيما يكتب يريدونه أن يكون معهم يميل إلى صفهم ويمجد أفكارهم فلما رفض هاجموه وشوهوا بأساليبهم الحديثة شخصيته الكاتبة فأحس أنه طُعن طعنة الموت فلم يكن يتخيل أن يكونوا في حدتهم وجرأتهم إلى حد الوصول إلى تسفيه ما كتبه، لقد كان وقع الصدمة عليه شديداً جعلته ينطوي على نفسه رافضاً الحديث مع أحد أو

الجلوس مع صديق فقرر أن يمحو كل ما كتب فلم يجد غير محبرته ليسكب مدادها على أوراق طالما كتب عليها بهذا المداد كتابات رفعه بها قراؤه إلى مصاف العظماء.

عتمة الليل

نظر عبر زجاج النافذة فرأى شعاع الفجر يختلط بعتمته الليل، فأحس أن شيئاً يلوح في الآفاق، فسرح فيما يمكن أن يحدث، فأبحرت ذاكرته مرتدة عشرات السنين، وكلما أبحرت رست على شاطئ من شواطئ عمره الممتدة عبر ستين عاماً، فتذكر كيف أتى إلى هنا صبياً صغيراً بصحبة أبيه، وأدرك أن المال هو لغة الحياة الحديثة، فبدون مال أنت لا شيء، هكذا تعلم الدرس الأول من أبيه، فأصبح همه المال يجمع منه بقدر طاقته المتغيرة حسب تقدم العمر ومات أبواه، وأصبح وحيداً إلا من المال، وقرر أن يتزوج فكانت زوجته وأولاده ضحايا حبه للمال، تمسك بكل ما يملك ولم يشأ أن يشاركه أحد فيه، فكان هو عنوان البخل في كل شيء حتى عواطفه لو قدر له أن يبيعها ما تردد، فهجرته زوجته هرباً، وأحس أنه تخلص من عبء كان يثقل كاهله، وأستمرت رحلته

حتى أنه نسى متى هاتف أولاده آخر مرة ربما من ثلاث سنوات أو أكثر، وأعاد نظره إلى النافذة وأبصر شعاعاً صغيراً يزيح عتمة الليل ويفرقها فتصبح كأنها ورقة شجر سقطت بفعل ريح قوية حملتها آلاف الأميال، ودقق النظر في النافذة فإذا به يرى وجهه وقد أزاحه شعاع الضوء ففزع وأعاد النظر مرة أخرى فأحس بتربص شعاع الضوء به فأشتد خوفه وأرخى ستائره البالية فوق نافذته الوحيدة وأحتضن ما أكتسبه في هذا اليوم بين ضلعيه وراح في سبات عميق.

ذات الشعر الأسود

وقفت أمام المرآة تتأمل شعرها الأسود الناعم كالحرير وهو ينسدل إلى أسفل ظهرها نادته بأعلى صوتها محمود تعال بسرعة جاءها مسرعاً على عجل خوفا من أن تغضب منه فهو يعشقها عشق وقد حارب كل الرافضين لزوجهما سألها خير حبيبتي قالت أنظر جيداً هناك شعرة بيضاء ظهرت وسط شعري وأنهارت فالبكاء أخذها في حضنه وقبلها على شفتيها فأنسحبت من بين يديه بسرعة ولم تتوقف عن البكاء تذكرت كيف كانت تتباهى بجمالها وسط معارفها وأصدقاءها لم يكن هناك من يرض غرورها كانت تنظر لكل رجل يحاول التقرب منها على أنه أقل من طموحها فلم ترض بأي منهم صديقاً أو حبيباً حتى دخلت الجامعة وهناك لفت أنتباهها محمود بقوامه المشموق وسيارته الحديثة فقررت أن يكون لها لم تحبه ولكن أحبت عالمه الجديد عليها لفتت أنتباهه

بشعرها الأسود الطويل أحبها لدرجة الجنون رفضها أهله فهي أقل منهم في كل شيء وتزوجها هي وشعرها تحمل كل شيء من أجل أستمرار حياتهما دخلت في حالة من الأكتئاب لا تكلم أحد فقط تناظر شعرها وتتفقد عدد الشعيرات البيضاء التي تظهر حاول علاجها بكل الطرق ولكن باءت كل محاولاته بالفشل أخيراً قرر التخلص من قيوده طلقها وتخلص من عشقها المجنون.

راكب مجاني

أصوات عالية غير واضحة تتداخل مع بعضها البعض مكونة ما يشبه الحديث غير مفهوم المعنى، وصوت من الميكروفون ينادي على راكبي آخر قطار لهذا اليوم. الجميع يجري ويتدافع نحو أبواب القطار، زحام شديد الكل يمني نفسه بمقعد أو حتى زاوية يتكئ عليها حتى نهاية رحلته، وأخيراً بدأت عجلات القطار تدور رويداً رويداً، وفجأة تنشق الأرض عن آخر راكب يريد اللحاق بالقطار، أفسح له الجميع ظناً أنه سيكون رفيق الرحلة، ولكنه خذلهم وتسلق النوافذ بسرعة كأنه لاعب في سيرك أو محترف تسلق جبال، وأستقر به المقام أعلى عربات القطار، وتعجبت مما فعل وسرحت بي ذاكرتي حين كنت في نفس عمره، وكيف كنت أجتهد لأكون رقم (1) في عملي، وهو الرقم الذي يتنافس عليه دائماً من يرغبون في التميز وأيضاً من يرغبون فيه دون بذل أي

جهد، وكلما أجتهدت وتعبت وأبدعت وتخيلت أني أخيراً حققت هدفي أجد من يحتل الرقم (1) قبلي رغم علمي بحاله ووضعه وقدراته، وقررت أن أقطع شكي بيقيني فسألته لماذا أنت دائماً رقم (1)؟ فرد بعبارة ما نسيتها ولن أنساها: أنا آخر راكب للقطار وليس فيه ولكن أعلاه، أقطف ثمار الآخرين وأنسب ما لهم لي وأصل قبلهم، فأنا أركب القطار بالمجان وأصل بلا أي مجهود مني إلى أي مكان قبل الجميع فأكون متواجداً في المحطة الأخيرة، وحين أنزل من أعلى القطار أضحك عليكم جميعاً؛ كيف تتكدسون داخل هذه العربة وتتدافعون وتتشاجرون على لا شيء وأظل أضحك على ما أنتم فيه حتى يصل القطار إلى حيث أريد فأقفز منه سريعاً وأتقدم الجميع فأنال الثناء وأسمع صوت الأكف مصفقة لما لم أفعله فتأخذني الحماسة وأصدح بقول عن غير عمل، وبذلك أكون قد حققت هدفي بلا أدنى تعب أو نصب فكن مثلي يا صديقي راكباً مجانياً! وتمنيت أن أكون مثله ولكني سألت نفسي وأسألك أنت أيضا هل يتذوق طعم الثمار من لم يزرعها؟

عصفور على الشباك

أعتاد محسن أن يزيح ستائر شباك غرفة نومه حين يصحو من النوم ليتمتع بلحظة شروق الشمس وكان دائما ما يجد عصفور صغير يقف على حافة الشباك يزقزق بكلمات لم يستطع أن يعرف مغزاها ولكنه ألفها وتوثقت الصلة بينهما حتى صارآ صديقين حميمين وبدأ محسن يدفع لعصفوره بشراب وطعام مما يأكله لدرجة أن حكايات محسن اليومية مع أصدقاءه ومعارفه لم تكن تخلو من ذكر هذا العصفور وتزوج محسن وأنجب وعلم أولاده بقصة العصفور ومات محسن فجأة وبعد العزاء تذكر أولاده العصفور وأنه لم يطعم منذ يومين وحين أزاحوا الستائر ليضعوا له الطعام والشراب وجدوه ميتاً على حافة الشباك حزناً على فراق صديقه.

كم أنت وفية أيتها الطيور والحيوانات وكم أنت جاحد وناكر للمعروف أيها الإنسان.

دراجة للبيع

عاش حياة الطفولة يحلم بدراجة يستطيع أن يتسابق بها مع أقرانه؛ فبرغم ثراء أبيه الفاحش لم يجرؤ أن يطلبها منه فرغم ما يتمتع به الأب من طيبة وحب وحنان إلا أنه غلف ذلك كله بصرامة وشدة جعلت أبنائه يخافونه ويطلبون كل ما يريدون من والدتهم. ألحت الأم على زوجها ليشتري له دراجة ولكنه لم يعبأ بطلبها وأصر على عناده معه - وقد أكتشف بعد وفاة أبيه أن هذا الرفض كان دافعه الخوف عليه – وأخيراً جاءت دراجته التي حلم بها حملها له عمه الذي يعمل في الكويت. جاب بدراجته جميع شوارع حيه بل وتجاوزه إلى الأحياء المحيطة وصل بها لأماكن كان يصعب عليه الوصول إليها قبل ذلك. كانت صحبته مكونة من ثلاثة أصدقاء؛ محمد وهو أبن أصغر مدير قاعة حفلات في فنادق الشيراتون العالمية وهو سليل أكبر عائلات نجع حمادي من طرف أبيه

وأيضا أكبر عائلات محافظة قنا من طرف والدته فكان المال لا يمثل له مشكلة خاصة وأن محمداً وحيد على فتاتين هو أكبرهما. أما الثاني فهو محمود وهو أبن واحد من أشهر فناني مصر في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، كان يتمتع بجمال أبيه ووسامة عمه وهو ممثل أيضا. كانت مشكلة محمود التربية الشديدة المحافظة لجده وجدته لأبيه فقد كانآ يتقيدان بكل التقاليد العريقة التي تربيا عليها فنقلاها لحفيدهما لذا فهو في حاجة لمن يأخذ بيده ليسلك به دروب الحياة ويكسبه خبراتها في التعامل مع كل طوائفها وقد وجد في هذه الثلة ما يريد. ورابعهم هو محمد أقصد ميمي الذي يعمل أبوه مساعد مصور سينمائي لكنه مصاب بجنون الفن فتخيل نفسه يوسف شاهين وكانت وفاة أم ميمي فاجعة عليه لكن أباه ما لبث أن تزوج بشربات – وهي أقرب للعلقم منها إلى أسمها – والتي تفننت في مضايقة ميمي وأخته والبكاء بدموع التماسيح فكان ميمي يجد معهم الألفة والمحبة التي تخرجه من سواد معيشته.

كانوا لا يفترقون ليل نهار مجتمعين دائما في بيت أحدهم أو خارجه راكبين دراجاتهم منتقلين عبر الدروب لخبرات حياتية متنوعة كانوا يريدون أن يتعشوا يوماً وجبة من الكباب ولكن كانت تكاليف العشاء أكبر من ميزانيتهم جميعا فأجلوا مشروعهم للمستقبل، وفي ليلة جمعة ظهر محمود راكباً دراجته الجديدة وعارضاً القديمة للبيع قرر أن يشتريها لكن ثمنها كان عشرين جنيها وهو يخاف أن يطلب هذا المبلغ الكبير من أبيه. عرض على أبيه رغبته في شراء الدراجة فلم يمانع ولكنه ماطله في تسديد ثمنها حتى جاء اليوم الذي وجد محمود حزيناً فسأله عن السبب فأجابه أن أباه يسأله عن ثمن الدراجة وهل قبضه أم لا؟ ورغم تأكده من عدم حاجة أبي محمود لثمن الدراجة إلا أنه لابد أن يوفي الناس حقها وظل يطارد أباه من خلال والدته حتى أعطاه المبلغ أخيراً أخذ العشرين جنيهاً وذهب مسرعاً للقاء الشلة فطلب منهم محمود أن يجهزوا دراجاتهم لمشوار بعيد وظلوا أكثر من ساعة ينتقلون من شارع إلى شارع حتى وصلوا محل الكباب وبعد العشاء كان الحساب

عشرين جنيها بالتمام دفعها محمود عن طيب خاطر وحين خرجوا من المحل أخذ يضحك بصوت عال وهم يضحكون لضحكه ولما سألوه عن السبب قال لهم: لو علم أبي أننا سنأكل كباب بنقوده لوقف الدم في عروقه.

لمتعيله

أصحى يا واد منك له أصحي يا بت يا عبير يله يا عيال الفطار جاهز وأبوكم عايز يروح الشغل كان هذا هو النداء الصباحي يوميا لأم سعيد ومثله عند العشاء وما أن يجلس الجميع على الطاولة إلا وتبدأ أحلى الأحاديث والقفشات تتبعها ضحكات صافية من القلب تخرج سعيد من الجامعة وبدأ رحلة الشقاء عفواً رحلة البقاء أقصد رحلة البحث عن عمل لم يكن يستقر في عمل واحد أكثر من عدة أيام ومن ثم يتركه ويجلس في البيت ريثما يجد عملاً أخر وأخيراً جاءته الفرصة وظيفة براتب محترم ومزايا لم يكن يحلم بها جمع أغراضه ووضعها في شنطته القديمة وتوجه إلى محافظة مرسى مطروح فالعمل في ليبيا الشقيقة وهو ما طمأن قلب أمه عليه كان يذهب ويعود كثيراً فلم يوفر مالاً فقرر أن يجلس أطول فترة ممكنة ولكنه كان يفتقد لمة العيلة التي

أعتاد عليها وبعد أربعة سنوات جمع مبلغاً وفيراً من الدنانير قرر أن يعود للمته أقصد لعائلته وفي الطريق ومع أضطراب الأوضاع بين الأشقاء في ليبيا أستوقفه تفتيش أحدى الجماعات وبعد حوار طويل وعذاب أطول أطلقوا عليه رصاصة الرحمة وأعتذرت الخارجية الليبية عن الحادث وأرسلوا جثمانه ليكون حاضراً لمة العائلة في جنازته.

دراجة نارية

تسللت نسمات الفجر العليل إلى مخدعها فأحست ببرودة تسري في أعماقها وأوجاع الحمل تقلق منامها، كانت في أيام حملها الأخيرة وهي صعبة على من كانت تعيش هذه اللحظة لأول مرة، أخبرتها طبيبتها أن موعد الوضع صار قريباً بل قريباً جداً بين ساعات يوم واحد أشتدت آلامها فنادت على زوجها بصوت ملؤه الفرح والألم، أخبرته أنها تضع حملها هب مسرعاً لم ير أي ملابس وضعها عليه فقط كان يريد الذهاب بها إلى المشفى ليرى مولوده الذي أشتاق إليه بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاماً على زفافهما طافا خلالها على كل الأطباء والمراكز العلاجية بل والدجالين بحثاً عن طفل يؤنس وحدتهما ويكون لهما معيناً في الكبر، سمع بكاء الصغير سجد لله شاكراً داعياً أن يحفظه الله من كل مكروه، أحست أنها أصبحت أنثى مكتملة الأنوثة بهذا المولود سمياه

أحمد كما كانا متفقين قبل الزواج تيمنا بوالد كل منهما، أحاطاه بكل رعاية وعناية لم تسمح لأحد غيرهما بالمشاركة في تربيته كانا يخافان عليه من نسمات الهواء ولم يظهر أحدهما للأخر هذا الشعور جلبوا له ما تمنى وما لم يتمن لم يبخلوا عليه بشيء ولم يتهاونوا في تعليمه مبادئ الدين وآداب الدنيا وحين بلغ سن المدرسة كانا يصحبانه ذهابا وعودة وحين ألتحق بالمرحلة الثانوية أحضرا له سائقاً خاصاً لمرافقته حتى لا يشعر بالحرج أمام زملائه كانت تحذره دائما من عبور الشارع ومن راكبي الدراجات النارية خاصة فهم متهورون وقد أصيب أكثر من فرد في عائلتها نتيجة هذا التهور كان يقول لها لا تخافين يا أمي الأعمار بيد الله، وسجل في الجامعة وأستمر في تفوقه وبره بوالديه تمنته كل بنات العائلة زوجاً لهن وحاولت أكثر من أم أن تلمح لأمه بهذه الرغبة ولكنها كانت ترفض الحديث في هذا الأمر تاركة له حرية الأختيار الذي وقع على بنت الجيران التي لا تختلف عنه في الأدب والتربية، حددا معاً موعد الزفاف في يوم ميلاده الخامس والعشرين، أحست أمه بأنقباض

في قلبها لا تعرف له سبباً ورأت نفس الشعور يخالج قسمات وجه أبيه، خافت من سماع صوت السيارات المسرعة في الشارع ومن أي توقف مفاجئ لأي واحدة منها، كلما دق جرس الهاتف أو قرع أحد الباب هبت فزعة ومع أقتراب موعد وصوله راجعت كل متطلبات الحفل وفي أثناء مراجعتها لحقيبة ملابسه سمعت صوت أرتطام في الشارع جرت إلى النافذة رأته ممداً على الأرض وقد سالت دماؤه من صدمة الدراجة النارية له لم تتحمل سقطت مغشياً عليها ولم تعد لوعيها حتى الآن.

دمعة حارة في ليلة شتاء باردة

تكومت فوق أريكتها القديمة المتهرئة في غرفة ضيقة لا تكاد تستوعبها بمفردها ورغم ذلك فهي تحمد الله على أنها وجدت أخيراً مكاناً تؤوي إليه بدلاً من التشرد في الشارع فبعد كل هذه السنين الطويلة من عمرها لم تكن تتخيل أن يكون مصيرها في هذه الغرفة القذرة لتقضي بها ما تبقى من سنين عمرها القليلة أرادت أن تقف لتحضر لنفسها كوباً من الماء لم تستطع أن تتحرك فالبرد خارجاً وداخلاً شديداً جداً فاق توقع رجال الأرصاد كما أن ملابسها التي ترتديها لا تكاد تستر جسمها النحيل الضعيف سقطت فوق خدها دمعت حارة سارت مع خطوط الزمن التي تركت أثارها على جميع جسدها أشعلت دمعتها دفء الذكريات أزداد تقاطر الدمع مع التقلب بين حال الحاضر ورفاهية الماضي عادات بذكرياتها عشرات السنين التي لا تستطيع إحصائها فقد

أصبح زمانها محصوراً في هذه الغرفة تذكرت كيف كانت أبنة وحيدة لأبوين أنجباها بعد عشرين عاماً من الزواج أحباها من كل أعماقهما وأغدقا عليها من مشاعرهما ومالهما الذي جمعاه أنتظاراً لقدومها المتأخر لم يرفضا لها طلباً فقد كانت ملكة متوجة فوق عرش قلبيهما أحست منذ الصغر بأهميتها عندهما إلى جانب جمالها الطاغي غير المتكرر في عائلة كل منهما أصابها الغرور والجفاء كانت تعاملهما بتعال وتأفف لطلباتهما البسيطة منها لم يتحمل أبوها ما وجده منها من إهمال وصد فمات كمداً وهو غير راض عنها تزوجت بمن أستعبدت قلبه وعقله فطار فرحاً بها عاشت حياتها غير مبالية بأمها المسكينة التي كانت تتحرى شوقا لرؤيتها هي وأحفادها ولكنها كانت تبخل عليها حتى بهذه الأمنية أحتاجت يوما للمال فقررت بيع منزل والديها فقد سجله لها أبوها خوفاً عليها من تقلبات الزمن طردت أمها من البيت تركتها تتشرد فترة ومع ضغوط المحيطين بها وضعتها في غرفة قذرة في حارة من حواري المناطق الشعبية المنتشرة في القاهرة أنقطعت عن زيارتها حتى

ماتت حزناً منها وعليها كانت أخر كلماتها لمن حضر الوفاة " اللهم أجعل لها نصيباً مما فعلته بي " أزدادت الدموع أنهماراً ولكنها لم تعد تدفئها فقد أرادت حضن أمها المفقود لتذوب فيه وتطلب منها أن تسامحها فقد جحدها أبناؤها وطردوها من بيتها لبيعه وأقتسموا ثمنه بينهم وكان نصيبها هذه الغرفة الضيقة القذرة.

فتحي كشري

في أحد أقدم شوارع القاهرة كان أبوه يمتلك محلاً لبيع الكشري ضمن سلسلة من المحلات التي توجد في سوق التوفيقية وتتنوع ما بين أسماك وقطع غيار و... أإن أشتهرت المنطقة بالفواكه التي تتواجد طوال العام على كل صنف ونوع غير متقيدة بزمان أو ما يطلق عليه الموسم.

ولد فتحي كثالث ولد للحج عبد الحميد الذي أجمع كل من رأوه أنه يشبه سي السيد في ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة بل كان يفوقه في الوسامة.

ما أن شب فتحي وأصبح قادراً على المشي حتى كان رفيق أبيه في عمله حتى حين ألتحق بالمدرسة كان كثيراً ما يفر هارباً ليذهب إلى المحل وكان أبوه لا يعاقبه بل يضحك في وجهه ويقول: فتحي أبني هو خليفتي في الصنعة.

أحب فتحي الكشري حباً شديداً بل أنه تمنى لو أفطر وتغدى وتعشى كشري حتى لاحظت أمه زيادة وزنه فحاولت أن تنظم طعامه خوفا عليه ولكنه كان يتحايل بكل الطرق ليصل إلى طبقه المفضل. أزداد وزن فتحي بشكل كبير خاصة مع وجوده الدائم في المحل بعد أن ترك الدراسة مطلقاً، وكلما تقدم به العمر زاد وزنه وهو لا يبالي حتى أنه تقدم لأكثر من فتاة وقوبل طلبه بالرفض ليس لشخصه ولكن لوزنه. توفي الحاج عبد الحميد وأتفق الورثة أن يبقى فتحي مسؤولاً عن المحل فليس منهم من يملك هذه الخبرة كما أنهم جميعا في وظائف تمنعهم من مزاولة أي نشاط تجاري. ظل فتحي يعمل بجهد في المحل ويزيد من رأس المال ويغدق على أخوته ورغم تغيير الكثير من المحال من حوله أنشطتهم التي كانوا عليها إلى نشاط كماليات السيارات إلا أن فتحي صمد لفترة غير طويلة سرعان ما أستجاب لأخوته حين حول نصف المحل فقط لهذه التجارة، وكما برع فتحي في الكشري برع أيضا في تجارته الجديدة وعرض عليه أحد أخوته أن يزوجه بأخت زوجته

الدكتورة التي أهتمت بالتعليم ونسيت أنها أنثى وحين رأته الدكتوره أعجبت بشخصيته وملامح وجهه الطفولية البريئة ولكنها خيرته بين أن يتبع نظام غذائي شديد أو يقوم بعمل عملية تقلل من حجم معدته الكبير ومن حبه لها قرر أن يخضع للعملية الجراحية وبدأت معاناة فتحي ليس من العملية ولكن من منعه من أكل الكشري فهو يقبل أي شيء إلا هذا ولكن زوجته وأم أبنه عبد الحميد ساعدته في البداية حتى تيقنت أنه قد شفي من هذا الداء تماماً. نحف فتحي حتى أن من رأه لم يكن ليعرفه لولا قفشاته التي عودهم عليها وفي أحدى سفريات زوجته للخارج مع أولادهم زار فتحي أحد أصدقاءه القدامى وتذكرا سوياً كم من أطباق كشري وأطباق الكمالة ألتهماها سوياً فقررا أن يكون عشاءهما كشري ولمعرفة فتحي بأشهر طهاة الكشري أتجه مباشرة هو وصديقه إلى هناك وبعد التحية والترحاب أمر صاحب المحل عامله بأن يحضر للحاج فتحي أفخر طبق كشري ويزيد الدقة لم يكتف فتحي بذلك ولكنه أضاف الشطة الحارقة بكميات كبيرة وما أن أنتهى فتحي من تناول أول طبق

حتى أحس بألم شديد في معدته فقد على أثره القدرة على الحركة فسارع صديقه بنقله للمشفى وهناك ظلت زوجته - التي عادت من السفر سريعاً– بجواره حتى فاق من غيبوبته فكانت أول كلمة نطقها فين يا سيد الكمالة.

غريب

رنت زغرودة عالية في بيت الست عطيات فقد وضعت أول مولود لها بعد عام من الزواج ليكون بكورة عائلة كبيرة ستتشكل على مدار عشرون عاماً كان نوح هو أول سلسلتها أما أبو نوح فقد كان رجلاً ثرياً ًورث عن أبيه وأجداده عشرات الأفدنة من أجود الأراض الزراعية في صعيد مصر وبالتحديد في محافظة قنا أحيط نوح بكل أنواع الرعاية ولأول مرة تأتي مربية من خارج المحافظة بل ومن خارج مصر كلها سيلين فتاة لبنانية عرفها أبو نوح أثناء سفره لتجارة في الشام وطلبت منه أن يبحث لها عن عمل في مصر فهي تريد أن تغادر قريتها بأي شكل للبحث عن أموال تساعدها على الهجرة إلى أمريكا بلد الحلم والحرية وقد حقق أبو نوح لها رغبتها فأصبحت مسؤلة مسؤولية كاملة عن نوح وتعليمه وتربيته ورغم وضع أم نوح لأخوة أخرين له إلا أن

سيلين ظلت مربية نوح فقط وشب نوح وقد أحس أنه مختلف عن كل من في البيت بل كل من في القرية إلا سيلين هي الوحيدة التي يستطيع التواصل معها تفهمه ويفهمها لا يبذل جهدا لقراءة أفكارها وهي كذلك وتعلم نوح الإنجليزية والفرنسية بل وتحدث العربية الشامية وليست اللكنة الصعيدية حتى أن من يجلس معه ولا يعرفه يظنه ضيفاً عند الجماعة فيرحب به ترحيب أبن القرية بالغريب عنها وحين جاء وقت الدراسة استطاعت سيلين إقناع أبا نوح بضرورة إلحاقه بمدارس أجنبية خارج القرية وربما خارج المحافظة فكان القرار الذهاب إلى محافظة الإسكندرية والألتحاق بأحدى مدارس اللغات العريقة بها وترتب على ذلك الأنتقال الكامل لنوح وسيلين إلى الإسكندرية والإقامة بها فكانت الغربة الثانية بعد غربة العائلة غربة المكان وفي الإسكندرية أختلط نوح بأبناء الجاليات الأجنبية هناك وأندمج معهم حتى تباعدت فترات زيارته للقرية حتى سيلين كأنها أحست براحة بالقرب منه فتناست مؤقتا فكرة الهجرة ومرت السنون وجاء وقت الجامعة فكانت فرصة سيلين للهجرة

إلى أمريكا وتسجيل نوح في أحدى جامعتها ومصاحبته هناك وخاصة أنها شارفت على الأربعين من عمرها ولم تتزوج فكانت الغربة الثالثة هي أقصى غربة غربة الوطن وما أن أستقر نوح وسيلين في أورلاندو إلا ووجدت سيلين قريباً لها تغرب هو أيضا ولم يتزوج فكان الوعد بالزواج حين يشارف نوح على التخرج من الجامعة وفي أخر عام أخبرت سيلين نوح بأمر زواجها فسعد لها ولكنه أحس بغصة في حلقة وضيق في صدره حين يتخيل أن يعيش بدونها وأستمر هذا الإحساس حتى أنتهت السنة وجاء موعد العرس وكأنه كان يزف نفسه إلى عالم الغربة الأكبر فقد أكتشف أنه لا يجيد عمل شيء دونها بل أنه لا شيء دونها وقررت سيلين وزوجها الهجرة إلى كندا وصدم نوح صدمة كبيرة فهي قد سافرت فجأة ولم تترك له فرصة للتأقلم على الوضع الجديد وقرر أبو نوح أن يعيده إلى قنا مرة أخرى ولكنه لم يعد كما كان فقد عاد الجسد وبقيت الروح غريبة عن المكان.

دموع على سجادة الصلاة

مع نسمات فجر الشتاء المثقل ببرودة الجو تتقلب الست نعمة الله في فراشها ولكنه تقلبا ليس بقلق ولكن أحساس بقرب موعد ولادة أول أبناءها بعد طول أنتظار أمتد إلى خمسة عشر عاماً عانت خلالها هي وزوجها الأسطى سيد النجار شماتة الأقارب فيهما وخاصة أخوات زوجها اللاتي لم يتزوجن ولم ينجبن ورغم ذلك كن يتآمرن على نعمة لإفشال حياتها الزوجية وطلاقها من أخيهن الذي كان يرفض ذلك ولا يعتد بما يفعلن فهو يعلم أنه وحيدهن بعد وفاة والديهم وأن فقرهم قد حال بين زواجهن وقد كان زواجه من الست نعمة هدية من الله له فهو لا يملك مالاً ولا جاه وحتى المنزل الذي يسكن فيه هو من المنازل المقرر أزالتها خوفاً على حياة سكانها وكلما تقلبت الست نعمة في فراشها زاد الألم فأيقظت سيد الذي لم يدر ماذا يفعل سوى أنه أخذ ينادي على أختاه

عل أحداهما تساعده وكان القرار أستدعاء أم زنيهم الداية لتقوم بالعمل بعد أن عجزوا جميعاً عن أن يخففوا من آلام نعمة ومع آذان الفجر سُمعت أصوات بكاء طفل يبشر بقدومه لدنيا لا يعلم ماذا سيفعل فيها في ظل هذا الفقر المدقع الذي يعانيه أهله وقرروا تسمية المولود فرج لعل حالهم تتغير بمولده ومع دوي البكاء كان تضرع أم فرج لله شكراً ونذر صلاة ركعتين في كل ليلة لله تعالى أن يحفظ وليدها.

لم يدخر أبو فرج أي جهد في توفير متطلبات الوافد الجديد بل كان الأتفاق بين الجميع على أن يلتحق فرج بالجامعة مهما تطلب الأمر من تعب وكد حتى عماته قررن أن يستسلمن لوجود نعمة في البيت ويقرن بحبهن لفرج فخرجن للعمل في المنازل لمساعدة أخيهن سيد في توفير المصروفات الخاصة بالعناية بفرج وبتعليمه، أم نعمة فقد كانت دموعها الحارة التي تنسكب يومياً على سجادة وهي ساجدة تدعي كانت هذه الدموع هي كل ما يمكن أن تساهم به.

وشب فرج في وسط بيئة محبة له حانية عليه فبادلهم الحب والحنية وحين التحق بالمرحلة بدأت أولى معاناته مع هذه الدنيا حين كان ينعته الأولاد بأبن نعمة ولم يكن الأمر يقلقه شخصياً بل كان حبه لأمه وخوفه عليها هو دافعه للتشاجر معهم وحين كان يعود للبيت يجد أمه ساجدة وتتهادى من عينها دموع حارة على سجادة الصلاة كأنها حبات لؤلؤ فكان يرقد بجوارها حتى تنتهي ثم يعانقها ماسحاً وجنتيها بخده فتنتقل دموعها إليه فيزداد تعلقه بها وكبر فرج وكبرت الأماني والأحلام وزاد سجود نعمة وأزدادت الدموع فرحاً بفخرها فرج ويوم تلقت خبر تخرجه من الجامعة سجدت سجدة طويلة لم تفق بعدها أبداً وحين عاد فرج ليبشرها بالنجاح لم يجد على سجادتها سوى دموع حارة هي كل ما ورثته له.

Underground

يثيرني الفضول دائما كلما حللت ضيفا في أحدى محطات الأنتقال البري أو البحـــري أو الجـــوي وخاصـــة رحـــلات متـــرو الأنفـــاق أو مـــن يسـمونهUnderground تشـبها بـالغرب لمطالعـة وجـوه الركـاب أو المسافرين أو حتى المنتظرين وقد داومت لفترة ليست بالقصيرة على أستخدام مترو الأنفاق من وسط المدينة إلى أطرافها وهناك رأيتها لأول مرة أمرأة تكسوها لمحة من جمال وأن غزها الشيب وطعن ملامحها طعنات متناثرة، متناسقة القوام ترتدي ثياب توحي بأنها ليست من الطبقة الكادحة هذه المرأة لم تكن تنتظر القطار ولكنها تجلس على مقاعد المنتظرين تطالع في وجوه الركاب من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الثانية ونصف تقوم من جلستها لتعكس أتجاه الخط من الرصيف المقابل ولطبيعة عملي أستطعت أن أكون صداقات مع العاملين في هذه المحطة وسألت عنها فما وحدت جواباً شافياً سوى الأجماع على أسمها

مدام عالية وكلما مرت الأيام زاد فضولي حتى قابلت أحد العاملين السابقين بالمحطة ووطدت علاقتي به حتى خارج المكان فتقابلنا في أحدى المقاهي الشعبية ومع أول حجر شيشة سحب عم عِوَض نفس عميق وقال: الست عالية دي ست الستات أنا أشتغلت عندها سواق يجي كده قد عشرين سنة دي بنت أنور باشا صاحب العزب والأطيان وهي بنته الوحيدة مخلفش غيرها وأمها فرنساوية أتعرف عليها أنور باشا في سفريه من السفريات وأتجوزها ولما ماتت جاب الست عالية لمصر وعاش معها في فيلتهم في المهندسين ومتجوزش تاني وأنتظرت أن يجيب على سؤالي لماذا تجلس في المحطة ولكنه عاد وعدد لي أصدقاءها فقال: دي كانت صاحبة فيفي هانم وعايدة هانم ونازلي هانم وأحمد بك الله لا يسامحه وهنا أوقفته عن الكلام وقلت له: ليه كده يا عم عِوَض ربنا يسامح الجميع إلا أنه أصر على أعادة ترديد العبارة الله لا يسامحه هو اللي عمل فيها كده فضل يلعب عليها ويمثل عليها أنه بيحبها لحد لما أتجوزها وخلف منها الست فتنه والأستاذ نبيل وكانوا عيله حلوه

ولمتهم تفرح لحد لما جه أحمد بيه وقرر يسافر ويعيش بره في الأول الست عاليه أفتكرت أنه هيروح شوية ويرجع تاني بس هو راح وقعد هناك ولما الست عاليه أعترضت خد العيال وهرب بيهم على مكان محدش يعرفه ولما عرفت كده جلها أنهيار ودخلوها المصحة وهناك كان بيجيها نوبات عياط وصراخ كتيره لحد لما أقنعوها أن عيالها في رحلة وهيرجعوا وأنهم راكبين المترو فيعيني كل يوم تروح تستناهم على أمل يرجعوا لها

في رثاء صديقي وأخي سامح كمال الدين عبد الوهاب رحمه الله

دموع

بكى الدمع لدمعي وحزن الحزن لحزني وتألم الألم لألمي فما كف دمعي ولا برد حزني ولا خف ألمي رحلت فأسترحت وتركت الألم لغيرك عجلت بالرحيل كأنك تنقل للغير همك فما والله للدنيا طعم بعدك ولكن هي الدنيا أما بكاء بمولدك أو بموتك

أنا وأن جف قلمي فلم يجف دمعي ولم يتوقف لساني عن الدعاء ولن يتوقف ألم قلبي على الفراق أرقد بسلام فقد زرعت بذرة محبتك في قلوب ألاف من البشر يدعون لك ليلاً ونهاراً وكأننا ولداً صالحاً يدعو لك.

أن العين لتدمع وأن القلب ليحزن وإنا لفراقك لمحزنون يا سامح رحمك الله رحمة واسعة أخي وحبيبي وصديقي أن الدموع لا تكفي وأن الحزن لا يوفي للتعبير عن ألم الفراق ولكن عزاءنا أنك قد نعمت براحة بعد

عناء وجنة بأذن الله بعد شقاء أرقد في سلام فقد نجوت من دار الفناء إلى دار البقاء

سامح لا ينسى

تخيل يا موحه في حد فاكر أن الواحد ممكن ينسى الحزن أو على الأقل يتجاوزه وخاصة حزني لفقدك وهذا محال طبعا لأنك جزء من نفسي حتى وأن غبنا عن بعض لفترة فنعود كأننا لم نغيب هذا شعوري زي زمان أنا في السعودية وأنت في مصر أطمئن عليك من خلال خالد أو أمل أو النت المهم أعرف أنك كويس أوعى تفكر أنك كنت لوحدك لما كنت بتعمل التحاليل مع نفين كنت معاك بطمن عليك ولما خرجت وتقابلنا مسألتكش لأني كنت عارف كل أخبارك علشان كده أحنا لسه مع بعض وسنكون مع بعض حتى نتقابل يا أطيب رجل عرفته في حياتي.

لا أعرف لماذا أكتب هذا الكلام ولكني جلست أطالع صفحة أحباب سامح فبكيت على دنيا يفارقها الأخيار ويبقى فيها الأشرار وحشني أوي يا سامح والله ما كنت عارف أني بحبك كده أعذرني لو قصرت معك في

يوم ولكنها الدنيا الملعونة تشغلنا عن أحبائنا سامحني يا صاحبي وأدع لي ربنا يفرج همي وكربي سلام يا صاحبي وإلى لقاء ليس ببعيد.

ليست خمسون بل خمسة فقط بلغني الخبر فضاق صدري وأنهمرت دموعي فسألني سائل من فقدت قلت أخ لم تلده أمي وصديق وقت الضيق قال كم عمره قلت خمسون قال الحمد لله أن عاشها على طاعته قلت الحمد لله وإن هي بلغت الخمسين إلا أنه لم يكمل الخمس سنين قال كيف قلت لقد نما الجسد وأكتمل العقل ولكن ظلت الروح لأبن الخمس سنين فقد كان يحمل قلبا ناصع البيض لا بغض فيه ولا حسد ولا كره لأحد وروح التسامح لا تفارقه وأبتسامة رغم الألم لا تتركه هذا هو فقيدي طفل في الخمسين من العمر.

أنا وسامح واللغة الفرنسية كنا ندرس الفرنسية في الصف الأول الثانوي وكانت تدرسنا مدام كلير حفظها الله أن كانت حية وغفر لها أن غادرتنا وكنا نذهب معها إلى بيتها في سياراتها السيات كل يوم ثلاثاء ولم تكن المدام ترزق بأولاد فكانت تعاملنا كأولادها وكنا كل مرة

نتنافس في أحصاء عدد الأطباق التي سيقوم زوجها برصـها بعد عودتـه من العمل وكم مرة سيدخل الحمام ويجذب خيط السيفون وكـان هنـاك إشارة متفق عليها بيني وبين سموحه وهـي الأرقـام فمـا أن يبدأ بـالرص ونبدأ بالعد واحد أثنين والفائز يروح البيت علـى حسـاب الخاسر أرويهـا كأنها الأن أرويها والدموع لا تكفي للبكاء على فقدان أنسان شهد لـه من عرفه بحسن الخلق والإيمان و داعاً يا صديقي وإلى اللقاء.